

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

هنري السادس الجزء الثالث

الطبعة الثالثة



دار المعارف

مُرحیات شکسبەر

هُنَرِي السَّادِسُ

الجزء الثالث

ترجمة

الأستاذ محمد بدوان

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال

الجزء الثالث

من

مسرحية الملك هنرى السادس

أشخاص المسرحية

King Henry VI

الملك هنرى السادس

Edward Prince of Wales, his son

إدورد أمير ويلز وابن الملك

Louis XI King of France

لويس الحادى عشر ملك فرنسا

أنصار هنرى السادس	{	Duke of Somerset	دوق سميرست
		Duke of Exeter	دوق إكستر
		Earl of Oxford	إيرل أكسفورد
		Earl of Northumberland	إيرل نورثمبرلند
		Earl of Westmoreland	إيرل وستمورلند
		Lord Clifford (الجزء الثانى)	لورد كلفورد (الشاب كلفورد فى الجزء الثانى)

Richard Plantagenet, Duke of York ريتشارد بلانتاجنت ، دوق يورك

أبناء دوق يورك	{	Edward Earl of March	إدورد إيرل مارتش
		(الملك إدورد الرابع فيما بعد)	
		Edmund, Earl of Rutland	إدموند إيرل رتلند
		George Duke of Clarence (دوق كلارنس فيما بعد)	جورج (دوق كلارنس فيما بعد)
		Richard, Duke of Gloucester (دوق جلوستر فيما بعد)	ريتشارد (دوق جلوستر فيما بعد)

أنصار دوق يورك	{	Duke of Norfolk	دوق نورفوك
		Earl of Warwick	إيرل ووريك
		Earl Norfolk	إيرل نورفوك
		Marquess of Montague (أخت إيرل ووريك)	ماركيزة منتجيو
		Earl Pembroke	إيرل بمبروك
		Lord Hastings	لورد هيستنجس
عما دوق يورك	{	Lord Stafford	لورد ستفورد
		Sir John Mortimer	سير جون مورتيمر
		Sir Hugh Mortimer	سير هيو مورتيمر

Henry, Earl of Richmond هنري (إيرل رتشمند) ، شاب
 Lord Rivers جرای ، سير وليم ستانلي Sir William Stanley
 سير جون مونتجمري Sir John Montgomery
 سير جون سمرفيل Sir John Somerville معلم رتلاند Tutor to Rutland
 عمدة يورك Mayor of York ضابط الحصن Lieutenant of the Tower
 نبيل A Nobleman حارسان Two Keepers صياد A Huntsman
 ابن قتل أباه . أب قتل ابنه . الملكة مرجريت Queen Margaret
 السيدة إلزبت جرای ، (فيما بعد ملكة بزواجها من إدورد الرابع) Lady Grey
 بونا (أخت ملك فرنسا) Bona جنود وأتباع ورسل وحراس إلخ .
 المنظر : جزء من الفصل الثالث في فرنسا وسائر المسرحية في إنجلترا .

الجزء الثالث من مسرحية الملك هنرى السادس

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن - دار البرلمان وكبرى العرش مقام على منصة عالية - طبول - جنود يوغلون في الدار بعنف - ثم يدخل ذوق يورك ، وإدورد ، ورتشارد ، ونورفوك ، ومنتجيو ، ووريك وجنود وقد وضعوا الوردة البيضاء في قبعاتهم .

وريك : عجباً كيف أفلت الملك من أيدينا !

يورك : بينما كنا نطارده فرسان الشمال

تسلل الملك في دهاء وترك وراءه رجاله .

وحينئذ أثار لورد نورثمبرلند العظيم .

الذي اعتادت أذناه ضجيج الحرب ولا تطيق

سماع أمر بالتراجع ،

حماسة الجيش المتخاذل ، وتقدم هو نفسه

ومعه لورد كلفورد ، ولورد ستفورد في صف

واحد ،

وهاجموا مقدمة جيشنا الرئيسي ،

وهاجموا صفوفه ، فصرعتهم سيوف جنودنا من
عامة الجيش .

١٠ إدورد

: فأما دوق بكنجهام والد لورد ستفورد
فهو إما قتيلا أو مصاب بجراح خطيرة ،
فقد شققت قبضته بضربة قاصمة من سيفي ،
وهذا دمه يا أبني يشهد بصدق قولي .

منتجيو

: وهذا يا أخى دم إيرل ولتشر

١٥

الذى التقيت به حين التحم الجمعان
: تكلم أيها الرأس ، وارو غنى ما فعلت
(يلقى على الأرض برأس دوق سمرست)

رتشارد

: إن رتشارد لأعظم أبنائي بلاء ،

يورك

ولكن هل مت حقاً يا صاحب الفخامة
يا دوق سمرست ؟

نورفوك

: تلك أمنية طالما تمنّاها جميع أبناء جون جوننت * !

٢٠ رتشارد

: هكذا آمل أن أهرز رأس الملك هنرى .

وريك

: وهذا ما آمله أنا أيضاً يا أمير يورك المظفر ،

وأقسم بالله أن هاتين العينين لن تغمض أجفانهما ،
قبل أن أراك متربعا على ذلك العرش

الذى يختصبه الآن بيت لانكستر .

هذا هو قصر الملك الرهيب ،

٢٥

وهذا مقعد الملك ، فترجع عليه يا دوق يورك ،
لأنه من حقلك لا من حق ورثة الملك هنرى .

: أعنى إذن يا عزيزى وريك ، أجلس عليه .
لأنا قد اقتحمناه قوة واقتداراً .

يورك

: سنقدم لك كلنا العون ، ومن يفر فإنه لا بد
ملاق حتفه .

٣٠ نورفوك

: شكراً يا عزيزى نورفوك . قفوا إلى جانبي أيها
السادة ،
وأنتم أيها الجنود ، ابقوا وأقيموا معى هذه الليلة ،
(يصعدون)

يورك

: وإذا جاء الملك فلا تأخذوه بالعنف
إلا إذا حاول أن يخرجكم غصباً .

وريك

: إن الملكة اليوم تعقد مجلسها هنا ،

٣٥ يورك

ولكنها قلما تفكر فى أننا سنكون من أعضاء
هذا المجلس ،
فدعونا ننل حقنا فى هذا المكان بالقول أو
بالطعان .

رتشارد : دعونا نقم في هذا البيت ، وسلاحنا في أيدينا
كما نحن الآن .

وريك : وسيعرف هذا باسم المجلس الدموي .
٤٠ إلا إذا أصبح بلانتاجنت . دوق يورك ، ملكاً
ونخلع هنري الخائر العزم .

الذي أصبحنا بفضل جبنه مضغة في أفواه
أعدائنا .

يورك : إذن فلا تتركوني أيها السادة ، وشدوا عزائمكم ،
فقد اعتزمت أن أنال حقى .

هـ ، وريك : ولن يستطيع الملك ، ولا من يحبه الملك أعظم
حب ،

ولا أكبر المؤيدين للانكستر وأعظمهم كبرياء ،
أن يحرك جناحاً إذا دق وريك أجراسه .

سأثبت لانكستر على العرش ، وليقتلعه من
يجرؤ على اقتلاعه .

كن ماضى العزيمة يا رتشارد : وطالب بعرش
إنجلترا . (طبول)

(يدخل الملك هنرى ، وكلفورد ونورثمبرلند وإكستر وبقية الحاشية)

هـ . الملك هنرى : انظروا أيها السادة ، أين اتخذ الثائر العنيد
مجلسه ،

اتخذته فوق كرسى الحكم نفسه ! كأنه يقصد
بذلك أن يتطلع إلى التاج وأن يكون ملكاً ،
تشد أزره قوة وريك ذلك النبيل الزائف .

يا لايرل نورثمبرلند ، لقد قتل هذا الرجل أباك .
وأباك أيضاً يا لورد كلفورد . وقد أقسم كلاهما
أن يثأر منه ومن أبنائه ، وأوليائه ، وأصدقائه .

٥٥

نورثمبرلند : وإن لم أنتقم منه فلتحل على نقمة السماء .
إن الأمل في هذا الانتقام هو الذى جعل
كلفورد يتخذ ثياب حداده من الفولاذ .

ما هذا ! أتحتمل هذا وتتجاوز عنه ؟ هلم
ننقض عليه لنهلكه .

٦٠

إن قلبى ليضطرم بنار الغضب ، حتى لم أعد
أحتمل المزيد .

الملك هنرى : صبراً يا عزيزى لايرل وستمورلند

كلفورد : إن الصبر شيممة الجبناء من أمثاله :

ولم يكن هو ليجرؤ على الجلوس حيث جلس
لو أن أباك حى .

سيدي العظيم . ائذن لنا هنا في دار البرلمان .
أن نهاجم آل يورك .

٦٥

- نورثمبرلند : ما أحسن ما قلت يا بن العم ، فليكن هذا .
- الملك هنرى : آه ، ألا تعلمون أن المدينة كلها تناصرهم ، وأن لديهم قوات من الجند تأتمر بأمرهم ؟
- إكستر : ولكنهم سيفرون مسرعين حين يقتل الدوق .
- ٧٠ الملك هنرى : حاشا لعقل هنرى أن يخالجه رأى كهذا ، وأن يجعل من دار البرلمان مجزراً .
- إن الحرب التى يريد أن يخوضها هنرى ،
- يابن العم إكستر ، هى حرب التجهم والألفاظ والوعيد . وأنت يا دوق يورك المتورد - العاصى ، انزل عن عرشى
- ٧٥ واجث على ركبتيك عند قدمى ، والتمس الرحمة فأنا مليكك .
- يورك : بل أنا مليكك .
- إكستر : يا للعار ، انزل ، فهو الذى جعلك دوق يورك .
- يورك : إن الدوقية تؤول إلى بالوراثة ، كما يؤول إلى لقب إيرل .
- إكستر : لقد كان أبوك خائناً للعرش .
- ٨٠ وريك : إنك يا إكستر تخون العرش ،
- باتباعك هذا المختصب هنرى .

- كلفورد : وهل يتبع المذء غير مليكه الشرعى ؟
- وريك : هذا حق يا كلفورد ، والمليك الشرعى هو رتشارد دوق يورك .
- الملك هنرى : وهل أقف أنا لتجلس أنت على عرشى .
- ٨٥ يورك : هذا ما ينبغى ، وما لا بد أن يكون ، فاصطنع القناعة والرضى .
- وريك : لتكن أنت دوق لانكستر ، وليكن هو الملك .
- وستمورلند : إنه دوق لانكستر والمملك معاً ، وذلك ما سيؤيده لورد وستمورلند .
- وريك : وهذا ما سيعمل وريك على إحباطه . إنك لتنسى أننا نحن الذين طاردوكم فى الميدان ، وذبخوا آباءكم ، وساروا وأعلامهم منتشرة . فى أنحاء المدينة حتى جاءوا أبواب القصر .
- ٩٠ نورثمبزلند : بل أذكره يا وريك ، ولشد ما يحزننى ذكره ، وإنى لأقسم بروحى لتندمسن أنت وأهلك على ما اقترفت .
- ٩٥ وستمورلند : يا بلانتاجنت ، لأزهقن من أرواحكم .

أنت وأبنائك هؤلاء ، وأقربائك وأصدقائك ،
أكثر من قطرات الدم التي كانت تجرى في
عروق أبي .

كلفورد : لا تزدد ، وإلا أرسلت إليك يا وريك .

بدل الألفاظ رسولا يقتص منك لموته .

قبل أن أقوم من مقامي .

١٠٠

وريك : كلفورد . أيها المسكين : ما أشد ما أسخر

من وعيدك الأجوف ،

يورك : أتريدون أن نظهر لكم حقنا في التاج ؟

فإن أبيتم ، فستطلبه سيوفنا في ساحة القتال .

الملك هنري : أي حق لك في التاج ، أيها الخائن ؟

لقد كان أبوك ، كما أنت الآن ، دوق يورك ،

١٠٥

وكان جدك ، روجر جوريمر ، إيرل مارتش ،

وأنا ابن هنري الخامس .

الذي جعل ولي عهد فرنسا والفرنسيين يحنون

هاماتهم ،

واستولى على مدنها وأقاليمهم .

١١٠ وريك : لا تتحدث عن فرنسا لأنك قد أضعتها كلها .

الملك هنرى : لم أضعها ، وإنما أضاعها الوصى على العرش ،
فقد كنت حين توجت ملكاً في الشهر التاسع
من عمري .

رتشارد : لقد بلغت الآن من العمر ما فيه الكفاية ،
وما زلت في ظني حليف الخسران .

١١٥ إدورد : افعل هذا يا أبى العزيز ، وضع التاج فوق
رأسك .

منتجيو : أخى الطيب ، دعنا نقاتل في سبيل التاج ،
إذا كنت تحب السلاح وتكرمه بدل أن نقف هنا
نتنازع بالألفاظ .

رتشارد : دقوا الطبول وانفخوا في الأبواق تروا الملك يلوذ
بالفرار .

يورك : أنصتوا يا أبنائي .

الملك هنرى : بل أنصت أنت ، واترك للملك هنرى فرصة
الكلام .

وريك : بل يتكلم بلانتاجنت أولاً ، فاستمعوا إليه
يا سادة ،

واصمت أنت أيضاً وأصغ إليه بانتباه .

لأن من يجرؤ على مقاطعة سيلقى حتفه .
 الملك هنرى : أنظن أنى سوف أتخلى عن عرشى الملكى .
 الذى جلس عليه جدى وأبى من قبلى ؟ ١٢٥

كلا ، لن يكون ذلك حتى تهلك الحرب سكان
 مملكتى ،

وحتى تصبح أعلامهم المظفرة ، التى طالما خفقت
 على ربوع فرنسا ،
 والتى عادت الآن مع الأسف الشديد إلى
 إنجلترا ،

هى الكفن الذى يلف جسدى . فيم هذا التقاعس
 يا سادة ؟

١٣٠ إن حقى فى العرش أكيد ثابت ، وهو مشروع
 أكثر من حقه .

وريك : إن استعطت أن تثبته يا هنرى ، كنت أنت
 الملك ،

الملك هنرى : لقد نال هنرى الرابع التاج بحق الفتح .

يورك : لقد كان ذلك بطريق التمرد على مولاه .

الملك هنرى : (لنفسه منفرداً) لست أدرى ما أقول ، فإن
 حقى فى الملك ضعيف .

(يرفع صوته) قل لى ، أليس من حق الملك
أن يتبنى وارثًا له ؟

يورك : ثم ماذا ؟

الملك هنرى : إن كان للملك هذا الحق فأنا ملك شرعى ،

لأن رتشارد نزل عن التاج فى مجلس .

حضره كثير من الأعيان لهنرى الرابع .

وأبى وريث هنرى الرابع وأنا وريث أبى .

يورك : لقد تمرد عليه وهو مليكه ،

وأجبره على النزول عن العرش

وريك : فإذا علمتم يا سادة أنه نزل عن العرش غير
مكروه

أتظنون أن هذا يضيع حقه ؟

١٤٥ إكستر : لا لأنه ليس من حقه أن ينزل عن العرش

على هذا النحو .

: بل ينزل عنه لوريثه حتى يخلفه فى الحكم ،

الملك هنرى : أأنت علينا يا دوق إكستر ؟

إكستر : إن الحق حقه فاغفر لى .

يورك : ما بالكم تتهامسون يا سادة ولا تحيرون جوابًا ؟

١٥٠ إكستر : إن ضميرى يوحى إلى أنه الملك الشرعى .

الملك هنرى : (لنفسه) إنهم جميعاً سينتقضون علىّ وينضمون إليه .

نورثمبرلند : يا بلانتاجنت ، لا تظن رغم ما تقيمه من دعاوى أن هنرى سيخلع عن العرش على هذا النحو .
وريك : بل سيخلع رغم أنف الجميع .

١٥٥ نورثمبرلند : إنك لواهم ، وجميع جنود الجنوب .

من إسكس ونورفوك ، وسفوك ، وكنت ،
التي تحملك على كل هذا التطاول والكبرياء ، لن
تستطيع أن ترفع الدوق على العرش بالرغم منى .

كلفورد : أيها الملك هنرى ، سواء أكنت صاحب العرش
حقاً أم مغتصباً له ،

١٦٠ فإن لورد كلفورد يقسم أن يحارب دفاعاً عنك ،
ولتنشق هذه الأرض ولتبتلعنى حياً .
إن أنا ركعت لمن قتل أبى .

الملك هنرى : كم تنعش كلماتك يا كلفورد قلبى .
يورك : يا هنرى لا نكسر اخلع تاجك ،

١٦٥ وأنتم أيها السادة بم تتممون أو علام تتأمرون ؟

وريك : قوموا بواجبكم نحو هذا الأمير دوق يورك ،
ولإلا ملأت عليكم الدار جنوداً مسلحين ،

وكتبت على كرسي الملك حيث يجلس الآن
حقه في الملك بدم المختصب .
(يضرب الأرض بقدميه فيظهر الجنود)

١٧٠ الملك هنرى : يا سيدى لورد وريك ، هلا استمعت إلى كلمة
واحدة منى ؟

دعونى أحكم ماكنّا مدة حياتى لا أكثر .
يورك : إذا أثبت حقى وحق ورثتى فى التاج ،
فلك أن تظل فى هدوء ماحييت .

١٧٥ الملك هنرى : ولانى راض بهذا يا رتشارد بلانتاجنت ،
لك الملك من بعد موتى .

كلفورد : أى ظلم ترتكبه بهذا فى حق ابنك الأمير !

وريك : بل أى خير وراء هذا لإنجلترا وله !

وستمورلند : هنرى أيها الوضيع الجبان البائس ؟

كلفورد : لكم أسأت بهذا إلى نفسك وإلينا !

١٨٠ وستمورلند : لن أستطيع البقاء لأسمع هذه الشروط .

نورثمبرلند : ولا أنا .

كلفورد : هلم يا بن عمى نبليخ هذه الأخبار إلى الملكة .

وستمورلند : وداعاً أيها الملك المتحل المنخلع القلب ،

الذى لا تشتعل فى دمه البارد جنوة من عزة

أوكرامة .

١٨٥ نورثمبرلند : ولتقع فريسة لبيت يورك ،
ولتمت رهين القيد جزاء هذا العمل الذى لا يليق
بالرجال .

كلفورد : ولتحق بك الهزيمة فى الحرب العوان ،
أو فلتعش منبوذاً محتقراً إن عشت فى سلام .
(يخرج نورثمبرلند وكلفورد ويستمرلند)

وريك : التفت إلى هنا يا هنرى ولا تنظر إليهم .
إكستر : إنهم يطلبون الثأر ولذلك لا ينزلون عن رأيهم .
١٩٠ الملك هنرى : آه يا إكستر .

وريك : ولم تتحسر يا مولاي ؟
الملك : إني لا أتحسر على نفسى يا لورد وريك بل من
أجل ولدى ،
الذى أثمت إذ حرمتها من حقه هذا الحرمان غير
الطبيعى .

ولكن ليكن ما يكون ، فإنى أسلم التاج لك
ولأبنائك (إلى يورك) إلى أبد الدهر
على شرط أن تقسم ههنا
بأن تضع حداً لهذه الفتنة ،

وأن تعظمنى وترعى حقى ملكك عليك وسيداً لك ،
وآلا تنحينى عن العرش لتحكم أنت ،
سواء بالحرب أو بالغدر .

٢٠٠

يورك : أقسم طائعاً مختاراً وسوف أبر بقسمى .

وريك : عاش الملك هنرى ؟ عانقه يا بلانتاجنت .

الملك هنرى : وعاش يورك ، وعاش هؤلاء أبناؤك الشجعان .

يورك : والآن تم الصلح بين بيتى يورك ولانكستر،

٢٠٥ إكستر : ولعنة الله على من يسعى بالتفرقة بينهما .

(أناشيد - يهبطون)

يورك : وداعاً يا مولاي الكريم وسأمضى إلى قلعتى .

وريك : أما أنا فسأحتفظ بلندن مع جنودى .

نورفوك : وأنا سأذهب إلى نورفوك مع أتباعى .

مونتجيو : وأنا سأأخذ طريقى إلى البحر من حيث قدمت .

(يخرج يورك وأبناؤه ، ووريك ، ونورفوك ، ومونتجيو ،
وجنودهم وأتباعهم) .

٢١٠ الملك هنرى : أما أنا فسأذهب إلى القصر يجالنى الخنزى والأسى

(تدخل الملكة مرجريت ومعها أمير ويلز) .

إكستر : ها هى ذى الملكة قادمة ، وإن ملاحظها لنتم

عن غضبها

سأتسلل من هنا .

الملك هنرى : وسأتسلل أنا أيضاً يا إكستر .

الملكة مرجريت : لا ، لا ، لا تهرب منى فإنى فى أثرك .

الملك هنرى : إن تصبرى أيتها الملكة الرقيقة فسأبقى .

٢١٥ الملكة مرجريت : ومن ذا الذى يستطيع الصبر فى هذه المحن ؟

ويك أيها الرجل الشقى ! ليتنى مت عذراء ،
ولم تقع عيناي عليك ولم ألد لك ابناً ،

بعد أن أظهرت أنك أب أبعد ما تكون عن
طبيعة الآباء

ماذا جنى حتى يفقد حقه على هذا النحو ؟

لو أنك كنت تحبه نصف ما أحبيته ،

ولو كنت أحسست الألم الذى أحسسته من
أجله ،

ولو كنت قد غدوتّه كما غدوتّه من دمي ،

لآثرت أن يسفك أغلى دم فى قلبك ،

على أن تجعل ذلك الدوق المتوحش ولياً
لعهدك ،

وتحرم ابنك الوحيد من حقه الطبيعى .

الأمير : إنك يا أبى لا تستطيع أن تحرمنى من الملك .

فإن كنت ملكاً فلم لا أخلفك؟

الملك هنرى : اصفحى عنى ، يا مرجريت . واصفح عنى

يا بنى الجميل ،

لقد أرغمنى على ذلك دوق يورك ولإيرل وريك .

٢٣٠ الملكة مرجريت : أرغمك ! أأكون ملكاً وترغم؟

وإلى لأستحى أن أسمع هذا الكلام منك ،

آه أيها الجبان التعس !

لقد أشقيت نفسك ، وأشقيت ابنك ،

وأشقيتنى ،

وسلمت لبیت يورك بحقهم .

فى أن يجعلوك تحكم برضائهم .

وهل معنى جعل التاج له ولأبنائه ،

إلا أنك حفرت قبرك بنفسك ،

وزحفت إليه زحفاً قبل الأوان ؟

وهل يكون لك بعد هذا أمان ، وهذا وريك

يصبح مستشاراً للدولة ، وصاحب كاليه ؟

وفالكونبرج العبوس يتحكم فى المضايق ؟

ودوق يورك يصبح وصياً على الدولة ؟

ثم تقول إنك آمن ، إنه الأمان

الذى ينعم به الحمل بين الذئاب .
لو كنت مكانك ، وما أنا إلا امرأة ضعيفة ،
لفضلت أن يتقاذفني الجنود بحرابهم ،
قبل أن أسمع بهذا الأمر .

٢٤٥

ولكنك آثرت الحياة على الكرامة ،
وما دمت قد فعلت هذا فأني أطلق نفسي منك ،
فلن تجمعنا مائدة ، ولن يجمعنا فراش ،
حتى ينسخ هذا القرار البرلماني الذى حرم
ابنى حقه .

إن نبلاء الشمال الذين تبرأوا منك ، ونبذوا
رايتك ،

٢٥٠

سيتبعوننى إذا ما نشرت أعلامى ،
وسأنشر هذه الأعلام حتمًا لأخزيك وأجلملك
العار ،

حتى أمحق بيت يورك محققًا .

وبهذا أتركك ، هلم بنا يا بنى ،

٢٥٥

فإن جيشنا على تمام الأهبة وسنلحق به .

الملك هنرى : بل ابقنى يا مرجريت العزيزة ، واسمعى ما أقول .

الملكة مرجريت : إليك عنى ! لقد تكلمت حتى الآن أكثر
مما يجب .

الملك هنرى : ابنى لإدورد الجميل ! لتبقى أنت معى .

٢٦٠ الملكة مرجريت : نعم يبقى ، ليفتك به أعداؤه .

الأمير : سأرى جلالتكم حينما أعود منتصراً من القتال ،
وحتى يحين ذلك الوقت سيكون مكانى إلى
جانبها .

الملكة مرجريت : تعال يا بنى ، فليس لنا أن نضيع الوقت
على هذا النحو .

(تخرج الملكة مرجريت والأمير)

الملك هنرى : ويح الملكة المسكينة! لكم جعلها حبها لى ولابنى
٢٦٥ تثور غضباً . فلتثار إن استطاعت من ذلك الدوق
البغيض ،

الذى ستنتزع روحه المتخطرة ، تؤازرها رغباته ،
التاج عن رأسى ، والذى سينهش
كأنه النسر الجائع لحمى ولحم ابنى !
لقد أحزننى وعذب قلبى أولئك النبلاء الثلاثة

فلا أكتب إليهم وأستملهم بالطيب من الكلام .

٢٧٠

تعال يا بن عمى وستكون رسولى إليهم .

: وأرجو أن أفلح فى مصالحتهم جميعاً .

إكستر

الفصل الأول

المنظر الثاني

سهل أمام قلعة سندل بالقرب من ويكفيلد
يدخل رتشارد وإدورد ومنتجيو .

رتشارد : أرجو أن تأذن لي يا أخي بالكلام وإن كنت
أصغركم سنًا .

إدورد : لا بل أنا أكثر منك إجابة لدور الخطيب .

منتجيو : ولكن لدى من الأسباب ما هو قوى ملزم .

(يدخل دوق يورك)

يورك : ماذا جرى ؟ أيشتجر ابنائى وأخى ؟

ما سبب هذا الشجار ؟ وكيف بدأ أول الأمر ؟

إدورد : لا شجار هو بل جدل يسير .

يورك : فيم تتجادلون ؟

رتشارد : فى الأمر الذى يمس سموكم ويمسنا .

تاج إنجلتره يا أبت الذى هو حقلك .

يورك : ليس من حقى يا بنى حتى يموت الملك هنرى .

١٠ رتشارد : إن حقلك فى التاج غير موقوف على حياته

أو موته .

إدورد

: إنك الوارث للملك فخذهُ وتمتع به الآن ،
 فإن إعطاءك لانكستر مهلة ليتنفسوا ،
 ستكون عاقبته أن يفلت الأمر من يدك في
 النهاية .

يورك

: لقد أقسمت أن أتركه يحكم في هدوء .
 ولكن القسم يمكن الحث به في سبيل مملكة .
 وإني لأحث في ألف قسم في سبيل الحكم
 سنة واحدة .

١٥ إدورد

رتشارد

: حاشا لله أن تكونوا سيادتكم حائثين .
 بل سأحث إذا أنا طلبت التاج عن طريق
 الحرب العلنية .

يورك

: سأثبت عكس ذلك لو استمعتم إلى ما أقول ،

رتشارد

: لن تستطيعه يا بني . هذا مستحيل .

٢٠ يورك

: إن القسم لا قيمة له ،

رتشارد

إذا لم يكن أمام حاكم شرعي حقيقى ،

له الولاية على من يؤدى القسم ،

وليس لمنرى مثل هذا السلطان عليك ،

بل هو مغتصب للعرش .

وإذا كان هو الذى جعلك تنزل عن حقلك ،
 فيمينك يا مولاي باطلة لا قيمة لها .
 إذن فهلم إلى السلاح ، وتصور يا أبى
 ما أجمل أن يلبس المرء تاجاً
 تحتوى دائرته جنة الخلد ،

٣٠

وكل ما يتغنى به الشعراء من نعيم وبهجة .
 فلماذا إذن هذا التقاعس ؟ إلى لن يقر لى قرار
 حتى تصطبغ الوردة البيضاء التى حملها
 بالدم الفاتر الذى يتدفق من قلب هنرى .

٣٥ يورك : كفى يا رتشارد ، سأكون ملكاً أو أموت دون ذلك .
 وأنت يا أخى فلتجد السير فوراً إلى لندن ،
 لتشحن همة وريك فى سبيل هذا العمل .
 أما أنت يا رتشارد ، فامض إلى دوق نورفوك ،
 وافض إليه سرّاً بعزمنا ؛

٤٠ وأنت يا إدورد اذهب إلى لورد كوبام ،
 الذى يهب معه جميع أهل كنت ،
 وثقتى بهم عظيمة ، فهم جنود
 ذوو فطنة وكياسة ، وأصحاب كرم وشجاعة .
 ولن يبق بعد أن تقوموا بما كلفتم به ،

إلا أن أتحين فرصة للانتفاض ،
دون أن يعلم الملك نيتي ،
لا هو ولا أحد من بيت لانكستر .
(يدخل رسول)

لكن تمهلوا ، ما عندك من أخبار ؟ ولم قدمت
بمثل هذه السرعة ؟

الرسول

: إن الملكة يؤازرها كل نبلاء الشمال وسادته
يزمعون محاصرتكم في قلعتكم هذه .

٥٥

وهي على مقربة من هنا ، ومعها عشرون ألف
رجل ،

فلتتحصن إذن يا مولاي .

: أجل ، وبحسبي أتحصن . فهل تظن أننا
نخشاهم ؟

يورك

يا إدورد ويا رتشارد امكثا معي .

وأنت يا أخي منتجيو أسرع إلى لندن ،

٥٥

وأبلغ وريك النبيل ، وكوبام ، والآخرين

الذين جعلناهم حراساً على الملك ،

أن يتذرعوا بالحيلة البارعة .

ولا يثقوا بهنرى الساذج ولا بقسمه .

٦٠ مونتيغيو : سأذهب يا أخى ، وثق أنى سأكسبهم إلى صفنا .
وبهذا ألتمس فى خضوع أن تأذن لى بالانصراف
(يخرج)

(يدخل سير جون وسير هيو مورتيمر)

يورك : سير جون وسير هيو مورتيمر يا عمى ،

لقد قدمتما ساندل فى ساعة موفقة ،

فإن جيش الملكة يبغى محاصرتنا .

٦٥ سيرجون : لا حاجة لها بالحصار فسنواتجها فى الميدان .

يورك : كيف ؟ بخمسة آلاف رجل ؟

رتشارد : بل خمسمائة يا أبى تكفى .

وكيف نخشاهم وعلى رأسهم امرأة ؟
(زحف من بعيد)

لادورد : إنى أسمع طبولهم فلننظم صفوف رجالنا .

٧٠ : ثم نخرج إليهم ونبادرهم بالقتال .

يورك : خمسة رجال إلى عشرين . ورغم هذا التفاوت
العظيم ،

فإنى يا عماء لا يساورنى أى شك فى النصر .

وكم من معركة خضت فى فرنسا فانتصرت .

وكان العدو عشرة أمثالنا .

٧٥ فلم لا يكون لى اليوم مثل هذا الظفر ؟
(يخرجون)

الفصل الأول

المنظر الثالث

ميدان القتال بين قلعة سندل وويكفيلد

صوت طبول

يدخل رتلند ومعلمه .

رتلند

: أين المهرب من أن تنالني أيديهم ؟

أى أستاذى انظر هاهو ذا كلفورد السفاح قادم

(يدخل كلفورد وجسود)

كلفورد

: انصرف أيها القس ، فإن صفتك الكهنوتية

تنقذ حياتك ،

وأما هذه الحشرة سلاله ذلك الدوق اللعين ،

الذى قتل أبوه أبى ، فالموت نصيبها .

هـ

المعلم

: وإنى يا سيدى باق إلى جانبه .

كلفورد

: أبعدوه أيها الجنود .

المعلم

: أى كلفورد ، لا تقتل هذا الطفل البريء .

فيحل بك غضب الله والناس .

(يسحب الجنود ويخرجونه)

- ١٠ كلفورد : ما هذا ! أمات الصبي ؟ أم هو الخوف
الذى جعله يغمض عينيه ؟ سأفتحهما .
- رتلند : هكذا ينظر الأسد الذى طال احتباسه إلى
الفريسة التعسة .
- ١٥ : التى ترتجف بين مخالبه المفترسة .
وهكذا يتمشى ساخرًا من فريسته .
وهكذا يجيء ليتمزق أوصالها .
أى كلفورد الطيب . اقتلنى بحمد سيحك .
لا بهذه النظرة القاسية المتوعدة .
- ٢٠ : أى كلفورد الحنون ، استمع إلى قبل أن أموت ،
إنى لأحقر شأنًا من أن أكون سببًا لغضبك ،
فلتصب انتقامك على الرجال ودعنى أعش .
- كلفورد : عبثًا تتكلم أيها الولد المسكين ، فإن دم أبى
يسد السبيل الذى تنفذ منها توسلاتك .
- رتلند : إذن فليكن دم أبى مفتاح هذا الطريق .
فهو رجل ، وهو كفء لك يا كلفورد .
- ٢٥ كلفورد : لو كان إخوتك ههنا .
لما كفانى دمهم ودمك انتقامًا ،
لا ! ولو نبشت قبور أجدادك ،

وسالكت جشهم المتعفنة في الأغلال ،
لما خفف ذلك من غضبي ولا أراح قلبي .
إن رؤية فرد من بيت يورك

٣٠

لتثير في الغيظ الذي يعذب روحي .
وسأظل أعيش في جحيم حتى أجتث سلالتهم ،
فلا أترك على ظهر الأرض منهم أحداً .
(يرفع يده)

وعلى هذا

٣٥ رتلند

: دعني أتوسل قبل أن أموت !
أتوسل إليك يا كافورد الطيب أن تشفق على .
: سيكون لك من الشفقة قدر ما يستطيعه حد

كلفورد

سيني .

رتلند

: إني لم أؤذك قط فام تقتلني ؟

كلفورد

: لقد آذاني أبوك

رتلند

: ولكن ذلك كان قبل أن أولد .

٤٠

إن لك ابناً واحداً فارحمي من أجله .

حتى لا ينتقم منك الله وهو عادل .

فيُقتل ابنك كما قُتلت .

آه دعني أعش سجيناً طول حياتي ،

وإن بدا منى يوماً ما يسىء ،
فليكن الموت جزائى . فليس لى سبب لقتلى .

٤٥

كالفور

: ليس لك سبب ؟
لقد قتل أبوك أبى فمت إذن .
(يطعنه)

رتلند

: فلتجعل الآلة هذه الفعلة أقصى ما تبلغ من
مجد .

كلورد

: بلانتاجنت ؟ هأنذا قادم يا بلانتاجنت !
وهذا دم ابنك لاصق بسيفى !
وسيصداً عليه حتى يتجمد دمك .
مع دمه ، فأغسل الاثنين معاً .

٥٠

الفصل الأول

المنظر الرابع

مكان آخر في ميدان الحرب
يدخل رتشارد دوق يورك

يورك

: لقد كسب جيش الملكة المعركة .

ومات عمای وهما يذودان عنى ،
وجميع أتباعى يولون الأدبار ،
ويجرون أمام العدو المطادر ، كما تجرى السفن
تدفعها الرياح ،

أو كما تفر الحملان من الذئاب الضارية .

وأبنائى يعلم الله ما حل بهم ،
ولكنى أعلم الآن أنهم سلكوا مسالك الرجال
الذين ولدوا لينالوا المجد فى حياتهم أو فى
موتهم .

فثلاث مرات يفسح لى رتشارد الطريق ،
وثلاث مرات يصرخ قائلاً : « الشجاعة يا أبى

ولنقاتل حتى النهاية .

وما أكثر ما وقف إدورد إلى جانبي .

١٠

وحسامه في لون الأرجوان ، وقد اصطبغ حتى مقبضه

بدم الذين التقى بهم في القتال .

وحيثما تراجع أشد المقاتلين بأسًا .

صرخ رتشارد « الهجوم . ولا تتزحزحوا قيد

١٥

قدم من الأرض » .

ثم صاح « التاج أو الموت الكريم ! » .

« الصوبلجان أو القبر ؟ »

وبهذه الصيحات عاودنا الهجوم ، ولكن ،

يا للحسرة !

ارتدنا مرة ثانية ، كالبحجة تحاول جاهدة ،

أن تقاوم التيار فلا تفلح .

٢٠

بعد أن تنبذ قواها على الموج الطاغى .

(صوت طبل يدوم فترة قصيرة)

أنصت ! هؤلاء المقتفون ، القاتلون ، إنهم

يطاردوننا !

وقد أنهكت قوى فلا أستطيع الحرب من نعمتهم

ولو كنت قويًّا لما خفت غضبهم .

٢٥

لم تبق من رمال عمرى سوى حبات قلائل ،

فها هنا يجب أن أمكث ، وهنا ينقضى أجلي ،

(تدخل الملكة ، وكلفورد ، ونورثمبرلند ، والأمير الشاب ،

وجنود)

أقبل يا كلفورد السفاح ، ويانورثمبرلند

الخليط الخاف ،

إني ها هنا لأزيد فى حدة نقيمتكم التي لا تشفى غليلها ،

إني هدفكم ، وإني لمنتظر ضرباتكم .

أسلم نفسك لرحمتنا يا بلانتاجنت المتكبر ،

٣٠ نورثمبرلند

: أجل ، لمثل تلك الرحمة التي أظهرتها ذراعه

كلفورد

القاسية

نحو أبى ، حين ضربه تلك الضربة القاسية .

والآن لقد أسقط فاييتون من عربته ،

وأظلمت شمسها فى وقت الظهيرة (١) .

(١) الإشارة إلى أسطورة فاييتون الفتى ابن هليوس إله الشمس الذى طلب إلى أبيه أن

يسوق مركبة الشمس ، فأذن له ، ولقطة تجربته اختلت المركبة ، ورماه المشتري بصاعقة

فقتله .

٣٥ يورك

: إن الرماد المتخلف من حولى ، مثل الطائر
فونكس^(١)

قد يتحول إلى طائر آخر يثار منكم جميعاً .
وبهذا الأمل أرنو بنظرى إلى السماء .

محتقراً كل ما توقعون بى ،
ويلكم لماذا لا تتقدمون ؟ ماذا ! أكثره
ولا شدة !

٤٠ كلفورد : هكذا يقاتل الجبناء حينما تنسد أمامهم سبل
الفرار ،

وهكذا تنقر الحمام أظافر الصقر الحادة ،
وهكذا يفعل اللصوص إذا ما يتسوا من الحياة
فيصبون اللعنات على رجال الشرطة .

يورك : أى كلفورد أجهد خاطرك مرة أخرى ،

وعد بذا كرتك إلى سابق عهدى ، ٤٥

وانظر ، إذا لم يعقك الحجل ، إلى هذا
الوجه ،

(١) الفونكس طائر خرافى إذا احترق تحول رماده إلى طائر جديد وهكذا يعيش أبداً .

وعض لسانك الذى يرمى بالجنب ذلك الذى كان
من قبل إذا عبس

جعلك تهن وتضعف وتلوذ بالهرب .

كلفورد : لن أترشق معك كلمة بكلمة ،

ولكنى أبادلك الضربات أربعًا بواحدة . ٥٠

(يشهر سيفه)

الملكة مرجريت : تمهل يا كلفورد الشجاع ، فلدى ألف سبب
لإطالة حياة هذا الخائن برهة .

إن الغضب يُصِمُّه فتكلم أنت يا نورثمبرلند ،

نورثمبرلند : مهلا يا كلفورد . ولا توله شرف وخزة من
إصبعك ،

ولو جرحت بها قلبه . ٥٥

وأية شجاعة فى أن تضع يدك .

بين أنياب الكلب إذا فغر فاه ،

حين ينفى أن تركله بقدمك ؟

ومن مغانى الحرب أن تبقى على جميع الأسلاب .

وإذا كنا عشرة لواحد فليس هذا انتقاصًا من ٦٠

شجاعتنا

(يمسكون بيورك وهو يقاوم) .

كلفورد : هكذا يقاوم الطائر الغبي الفخ الذى أطبق عليه .

نورثمبرلند : أو هكذا يقاوم الأرنب الشبكة التى أهدقت به .

يورك : بل هكذا يختال اللصوص تيهًا على الغنيمة التى أحرزوها .

وهكذا ينهزم أشرف الرجال أمام لصوص يفوقونهم عددًا .

٦٥ نورثمبرلند : ماذا تريد من جلالتك أن يفعل به الآن ؟

الملكة مرجريت : أيها المحاربان الشجاعان ، كلفورد ونورثمبرلند ،

اجعلاه يقف على هذا الكتيب المنخفض ،

فقد كان يبسط ذراعيه ليطاول الجبل ،

فلا يظفر من الجبل إلا بظله .

ماذا ؟ أنت الذى كنت تريد أن تكون

ملكًا لإنجلترا ؟

أأنت الذى كنت تثير الهياج فى مجلس برلماننا ،

وتملأ الأسماع بالحديث عن كريم محتدك ؟

أين تلك الطغمة الحقيرة من أبنائك يشدون أزرك

الآن ؟

إدورد الطائش وجورج الفاسق ؟
 وأين دكى ابنك الأحذب العجيب .
 الذى كان يثير بصوته المتبرم أباه .
 ويدفعه إلى العصيان ؟
 وأين مع الباقيين ابنك العزيز رتلند ؟
 انظر يا يورك لقد غمست هذا المنديل بالدم
 الذى جعله سيف كلفورد الشجاع ،
 ينبثق من صدر الصبي ؛
 فإذا فاضت عيناك بالدمع على موته .
 أعطيتك هذا المنديل لتمسح به العبرات عن
 وجنتيك .
 واحسرتاه يا يورك ! لولا ما أحسه نحوك من
 بغض قاتل .
 لكنت حالك التعسة خليقة بأن تثير رثأى .
 إنى أسألك أن تحزن ، فإن حزنك يبهجنى
 يا يورك .
 ويلك هل جففت نيران قلبك أحشاءك ،
 فغاض الدمع حتى لا تستطيع أن تذرف شيئاً
 منه على موت رتلند ؟

لماذا هذا الجلد يا رجل ؟ أولى بك أن تعجن !
ولسوف أثير هذا الجنون بالسخرية منك .

٩٠

اضرب الأرض بقدميك ! اهرف واغضب
حتى أغنى لذلك وأرقص .

أراك تريد أن تؤجر لتكون موضع سخرية لى .
إن يورك لا يستطيع الكلام إلا إذا لبس تاجًا .
هاتوا تاجًا ليور ! ويا أيها السادة انحنوا أمامه ،
وأمسكوا بيديه حتى أضع التاج على رأسه ،

٩٥

(تضع على رأسه تاجًا من ورق)

حقًا لعمرى إنه يبدو الآن كذلك ؛ نعم هذا هو
الذى جلس على عرش الملك هنرى ،
وهذا هو الذى اختاره وريثًا له .

ولكن كيف حدث لبلائنتاجنت العظيم ،

أن يتوج بهذه السرعة ، فحنث بقسمه العظيم ؟
لقد كنت أحسب أنك تصبح ملكًا .

١٠٠

حين يلتقى الملك هنرى منيته ،

فهل سارعت إلى تتويج رأسك بالهجد الذى
هو لهنرى ،

واستلاب التاج من فوق رأسه ،

وهو لا يزال بعد حيًّا ، حائثاً بقسمك المقدس ؟
هذه لعمرى جريمة شنعاء لا تغتفر .

أطيحوا بالتاج وأطيحوا مع التاج برأسه ،
ولتسارعوا بقتله قبل أن أنتهى من كلامى .

كلفورد : هذه مهمة أقوم بها من أجل أبى .

الملكة مرجريت : بل تمهل ودعنا نستمع إلى صلواته .

يورك : أيتها الذئبة الفرنسية ، إنك شر ذو بان فرنسا .
وإن فى لسانك من السم أكثر مما فى ناب
الأفعى !

كم تجافين طبيعتك النسوية
حين تختالين اختيال العاهر تشبه بالرجال ،
وتظهرين من التشفى فى مصائب من خانهم
الحظ .

لولا أن وجهك جامد لا يتأثر كأنه قناع ،
وقد أكسبته فعالك الشريرة وقاحة وجراً ،
لحاولت ، أيتها الملكة الصلفة ، أن أجعله
يحمر خجلاً ،

بما أذكره عن منبتك ، ومن أين جئت ، ومن

أى سلالة انحدرت .
وفى هذا من العار الكفاية لولا أنك امرأة
لا تخجلين .

١٢٠

إن أبالك يحمل لقب ملك نابلى ،
والصقليتين وبيت المقدس ،
ولكنه لا يبلغ ثراء فلاح إنجليزى ،
فهل علمك هذا الملك المعدم كل هذه القحة
والبداءة ؟

١٢٥

لا ، إنك لم تكونى فى حاجة إلى هذا ،
وما كان أغناك عنه أيتها الملكة المتعجرفة ،
اللهم إلا إذا صدق فيه المثل :
أعط السائل حصاناً يركبه حتى يهلكه .
إن الجمال كثيراً ما يملأ صدور النساء كبرياء
ولكن يعلم الله أن حظك منه قليل .

١٣٠

والفضيلة هى التى تجعلهن موضع الإعجاب
الشديد ،
وبعدك عن الفضيلة هو الذى يثير العجب .
والكمال هو الذى يكسبهن قدسية ،
وانعدام هذا فيك يجعلك لعينة .

إنك نقيض لكل خير . بعيدة عنه بعد القطبين
منا ، أو بعد الشمال من الجنوب .

آه يا قاب نمرة في إهاب امرأة !
كيف استطعت أن تستنزفي دم الحياة من
الطفل ،

لتأمرى الأب بأن يمسح به عينيه ؟

ثم يظل لك وجه امرأة ؟

إن النساء يمتزن بالرقعة ، والحنان ، والرافة ،
واللين ،

وأنت صارمة قاسية ، غليظة ، خشنة ،
لا ترحمين .

أتطلبين إلى أن أحتاج ؟ لك ما تطلبين .

أتريدني مني أن أبكى ؟ لقد تحققت رغبتك ،
فالريح متى هاجت أثارت السحب المطيرة ،

حتى إذا سكنت أخذ الغيث ينهمر .

لتكن هذه الدموع هي مآثم رتلند العزيز ،

وكل قطرة منها تنادى بالثأر .

من كلفورد الدنيء ، ومنك أيتها الفرنسية الحسيسة .
 ١٥٠ نورثمبرلند : ويحي ، لقد أثار حزنه قلبي ،
 حتى لا أكاد أحبس دمعى .
 يورك : إن آكلى لحوم البشر ما كانوا
 ليمسوا محياه أو يصبغوه بالدم ،
 ولكنك أشد منهم ضراوة ، وأبعد منهم عن
 الرحمة .

١٥٥
 إنك تزيدين وحشية على نمور هركانيا^(١)
 انظري أيتها الملكة القاسية هذه دموع أب
 حزين .

هذه الحرقعة بللتها بدم ابني الحبيب
 وهأنذا أغسل دمه بدمعى .
 احتفظى بالمنديل واذهبى لتباهى به ،
 ١٦٠
 إنك إذا قصصت هذه القصة الأليمة بصدق
 لا يشوبه الكذب .

فسوف اعمرى يذرف الدمع كل مستمع ،
 وسوف يبكى حتى ألد أعدائى ،

(١) هركانيا اسم قديم لإقليم فى إيران إلى الجنوب من بحر قزوين اشتهر عند القدماء
 بالوحوش الضارية .

: وسيقولون « يا للعار ! لقد كان عملاً شنيعاً »

هاك التاج ، ومع التاج لعناتى أصبها عليك .
وإذا ما هربت فلتكن سلوى شيخوختك ،

١٦٥

نفس السلوى التى أناها من يديك القاسيتين !
أى كلفورد القاسى ! ضع حدّاً لحياتى !
حتى تنطلق روحى إلى الجنة وحتى يقع وزر
قتلى على رؤوسكم .

نورثمبرلند : لو أنه قتل أهلى جميعاً .

لما استطعت لعمرى إلا أن أبكى معه

١٧٠

حين أرى كيف يعصف حزنه الدفين بروحه .
الملكة مرجريت : ماذا ! أهكذا اعترتك نوبة البكاء يا لورد
نورثمبرلند ؟

ألا فاذا ذكر الضر الذى أوقعه بنا جميعاً ،

تجف منك هذه الدموع الماطلة .

١٧٥ كلفورد : هذه برأ بقسمى ، وهذه للأخذ بثأر أبى (يطعنه)

الملكة مرجريت : وهذه لتثأر للمكنا طيب القلب (تطعنه)

يورك : رباه ياذا الجلال افتح أبواب رحمتك ،

إن روحى ستصعد إلى ملكوتك من خلال هذه

الجراح (يموت)

الملكة مرجريت: اقطعوا رأسه وعلقوه على أبواب بلدة يورك ،
حتى يظل يورك مشرفاً على مدينة يورك .
(طبول ويذهبون)

الفصل الثاني

المنظر الأول

سهل قرب صليب مورتيمر بهرتفورد شير
صوت طبول ، جيش زاحب ، يدخل إدورد ورتشارد وقواتهما .

إدورد : لست أدري كيف استطاع أبونا الأمير العظيم
الهرب ،

بل لست أدري هل استطاع النجاة

من مطاردة كلفورد ونورثمبرلند له .

لو أنه أسر لبلغنا الخبر ،

ولو كان قتل بلحاءنا النبأ ،

ولو أنه نجا فأكبر الظن

أننا كنا نسمع خبر نجاته السعيدة .

ماذا بك يا أخي ، ولم أراك هكذا محزوناً ؟

رتشارد : لا أستطيع الفرح حتى أعرف ما أصاب

والدنا الشجاع .

لقد رأيته بعيني في المعركة يجول ويصول ،

ثم رأيته يستخلص كلفورد من بين الجمع ،
وأظن أنه حملة وسط الجند المتكاثفين ،
وكأنه أسد وسط قطيع من الماشية ،
أو دب أحاطت به الكلاب .

فإذا نهش بعضها وصرخت من فرط الألم ،
وقف سائرهما بعيداً وهي تنبح .
هكذا حمل أبونا على الأعداء ،
وهكذا ولى الأعداء من شدة بأسه .

لعمري . إنه ليكفيني فخراً أن أكون ابناً له
انظر كيف يفتح الصباح أبوابه الذهبية ،

ويرسل الشمس مشرقة باهرة ،
ألا ما أشبه ذلك بالشباب في عنفوانه ،
يخطر في أبهته ويميس أمام محبوبته .

إدورد : هل بهر الضوء عيني ؟ أم تراني أشهد شمساً
ثلاثاً ؟

٢٥ رتشارد : ثلاث شمس باهرة ، كل واحدة منها شمس
في تمامها ،

لا يحجبها سحاب يشتها .
بل تختال في سماء صافية .

انظر ، انظر ، إنها تقترب ، وتتعلق ،
وتبدو كأنها يقبل بعضها بعضاً ،
وتبرم ميثاقاً لا يقبل النقص .

٣٠

والآن استحالت مصباحاً واحداً ، ونوراً واحداً
وشمساً واحدة .

إن السماء بهذا الأمر تنبئ عن حادث يقع .
: هذا عجب عجاب لم يسمع الناس بمثله من
قبل ،

إدورد

وظنى أن هذا يدفعنا يا أخى إلى الميدان
حتى نستطيع نحن أبناء بلانتاجنت الباسل ،
وإن كان لكل منا مجده الباهر .
أن نضم أضواءنا بعضها إلى بعض ،
فنملأ الأرض نوراً وهاجاً ، كما تضيء هذه
الشمس الكون^(١) .

٣٥

ومهما كان ما ينبئ به هذا ،
فسأجعل على درعى ثلاث شمس مضيئة .
: لا بل اجعلها ثلاث بنات ، إن أذنت لى بهذا
القول ،

٤٠ رتشارد

(١) هنا تلاعب بالألفاظ فإن Sun بمعنى شمس و Son ابن لا فرق بينهما فى النطق .

فإنك لتفضل الفتيات المنجبات على البنين
(يدخل رسول)

ولكن من تكون يا هذا الذى تنبئ ملاحه
الكثيبة

عن نبأ رهيب معلق بلسانه .

٤٥ الرسول

: إنه نبأ كان من تعسى أن أشهده ،

: أن أشهد مصرع دوق يورك النبيل ،
أبيكم الأمير وسيادى المحبوب .

إدورد

: حسبك هذا ، لقد سمعت ما فوق الكفاية .

رتشارد

: إذن فصف لى كيف مات ، فإنى أريد أن
أستمع إلى الأمر كله .

٥٠ الرسول

: لقد أحاط به أعداء كثيرون ،

ولكنه ثبت لهم كما ثبت بطل طروادة (١) .
للإغريق الذين أرادوا دخولها .

ولكن هرقل نفسه لا شك يندهزم أمام الكثرة ،
وإن الضربات المتوالية ، وإن كانت بفأس
صغيرة ،

(١) البطل الطروادى المقصود هو هكتور .

لتقطع السنديانة الصلبة وتلقيها على الأرض .
وهكذا غلبت الكثرة أباك .

ولكن يد كلفورد الحاقدة ، ويد الملكة ، هما
اللتان قتلتاه .

أما الملكة فقد توجت الدوق النبيل نكاية
وسخرية ،

وضحكت منه ، فلما بكى من شدة الحزن ،
ناولته الملكة القاسية منديلا يمسح به دمه ،

منديلا اصطبغ بدم رتلند الجميل .

الفتى البريء الذى ذبحه كلفورد القظ .

وبعد ما أمعنوا فى السخرية والشتائم البذيئة ،
قطعوا رأسه وعلقوه على أبواب يورك .

حيث لا يزال معلقاً .

ولم أر فى حياتى منظرًا أبعث للحزن من ذلك
المنظر .

: أى دوق يورك السمع ، يا عماد بيتنا الذى
عليه نعلم .

فأما وقد مت فقد ذهب سندنا وهوى عمادنا .

ويك يا كلفورد الوحشى . لقد ذبحت .

زهرة أوربا جزاء شهامته وبسالته ،

٧٠

وغلبته بالغدر والخيانة ،

ولو أنك برزت له منفرداً لكان له الفوز
والغلبة .

والآن بات القصر الذى تسكنه روحى سجنًا لها ،
فليتتها تنطلق منه حتى يتاح لهذا الجسد .

أن يورأى الثرى ويستريح !

٧٥

إنى لن أعرف الفرح بعد اليوم ولن أرى سعادة
أبد الدهر

: لا أستطيع البكاء ، فهيئات أن يستطيع

رتشارد

ما بجسمى من سوائل أن يطفى أتون قلبى المحترق ،
أو يستطيع لسانى أن يزيح العباء الفادح
الجاثم على قلبى ،

فإن أنفاسى نفسها التى لا بد لى أن أستخدمها
فى الكلام ،

٨٠

هى الآن تشعل الوقود الذى يؤجج نيران صدرى
ويحرقنى بلهيب ، لا بد للدمع أن يطفئه .
إن البكاء يجعل الحزن ضحلا قريب الغور .

فلأدع الدموع إذن للأطفال ، وليكن لي
الضرب والثأر .

٨٥

رتشارد إني أحمل اسمك ، وسأثأر لموتك
أو أموت فأكسب المجد ، إذ أحاول الثأر .

إدورد : لقد ترك لك الدوق الشجاع اسمه ،

كما ترك لي دوقيته وكرسي ملكه .

٩٠ رتشارد : كلا ! وإذا كنت ابن هذا النسر النبيل حقاً ،

فأقم الدليل على صحة نسبك إليه بأن تحرق

في الشمس (١) ،

وإلا فالدوقية ، والعرش ، والمملكة كلها ،

تقول :

إما أن تفعل هذا وإلا فلست ابنًا له .

(صوت جنود زاحقة . يدخل وريك وماركيز منتحيو

وجيشهما)

وريك : والآن أيها السادة الكرام كيف الحال ،

وما الأخبار ؟

(١) إشارة إلى ما يوصف به النسر من المقدرة على التحديق في الشمس ، والمعنى الذي

يرى إليه ريتشارد بقوله التحديق في الشمس هو بلا شك مواجهة الموقف الخطير بجرأة وإقدام .

٩٥ رتشارد : يا لورد وريك العظيم ، لو أنا قصصنا أخبارنا السيئة .

وجعلنا مع كل كلمة تقال
طعنة نخنجر في جسدنا ، حتى ننتهي من كلامنا ،
لكانت الكلمات أشد إيلاماً من الجراح .
أيها السيد الشجاع لقد صرع دوق يورك .

١٠٠ الإدورد : آه يا وريك ، يا وريك إن بلانتاجنت ،
الذى كان يعزك كأن فيك الخلاص لنفسه ،
قد كال له لورد كلفورد القاسى الطعن حتى
أماته .

وريك : لقد أغرقت هذا النبأ بدمعى الهتون منذ عشرة
أيام .

وهأنذا الآن أضيف إلى أحزانكم أحزاناً جديدة ،
وأقص عليكم ما وقع بعدئذ من أحداث .
١٠٥ ذلك أنه على أثر تلك المعركة الدامية .

التي دارت رحاها بويكفيلد ،
حيث لفظ أبوكم الشجاع آخر أنفاسه ،
جاءتني الأنباء بأسرع مما يسير البريد ،
تحمل أنباء خسارتكم وموت أبيكم ،
١١٠

وكنت وقتئذ في لندن أقوم على حراسة الملك ،
 فعبأت جنودى وجمعت كثيراً من أصدقائى
 وأقمت الجند في مراكزهم كما عنى ،
 وسرت من هناك إلى سانت أولبنز لأعترض
 طريق الملكة ،

وقد أخذت الملك معى تحت حراستى ،
 لأنى علمت من طلائعى
 أن الملكة تسعى جاهدة إلى هناك ،
 لتغى القرار الذى اتخذناه فى البرلمان .
 خاصاً بقسم الملك هنرى ، وتوليكم العرش
 من بعده .

وقصارى القول إننا قد التقينا فى سانت أولبنز ،
 واشتجر القتال ، وتناحر الفريقان . وتطاحنا
 أشد التطاحن .

ولست أدرى أكان ثبات الملك
 وهو ينظر فى رقة وحنان إلى ملكته المقاتلة ،
 أم كان ما شاع بين الجنود من أخبار انتصارها ،
 هو الذى سلب جنودى حماسهم ؟
 أو لعله الخوف الشديد من بطش كلفورد ،

الذى يرعد ويبرق فى وجه أسراه ويتعطش إلى
سفك دمائهم .
ولكن الحق أن سيوفهم كانت تروح وتغدو ،
كأنها البرق ،
أما أسياف جنودنا فكانت كبومة الليل تنطلق
متراحية

أو كحصاد يعمل منجله فى تراخ ،
كانوا يضربون فى رفق ، كأن الواحد منهم
يطعن أصدقاءه .
وكننت أستشير حميتهم بعدالة قضيتنا تارة ،
وتارة بما وعدتهم من مال وفير وجزاء أوفى ،
ولكن كل ذلك ، ذهب أدراج الرياح ،
فقد انخلعت منهم القلوب ،

وذهب بذلك أملنا فى النصر ،
فوليننا الأدبار والتقى الملك بالملكة ،
وقدمنا أنا ولورد جورج أخوك ولورد نورفوك
بأسرع مما يسافر البريد ، لننضم إليكم ،
لما علمناه من أنكم معسكرون ههنا فى السهول ،
وأنكم نعدون العدة لقتال جديد .

إدورد : وأين دوق نورفويك أى وريك النبيل ؟
ومتى قدم جورج من برجندي إلى إنجلترة ؟
وريك : فأما الدوق فهو مع الجند على بعد ستة أميال
من هنا ،

١٤٥

وأما أخوك فقد وصل أخيراً بالمدد
الذى نحتاج إليه فى هذه الحرب
من عند عمك الطيبة دوقة برجندي .
لقد كان عجيبيّاً فى رأى أن يفر وريك الشجاع ،
فلطالما سمعت عن بسالته فى الطراد ،
ولكنى لم أسمع حتى الآن عن فراره الذى
يجلله العار ،

١٥٠

وريك : ولن تستمع الآن ، يا رتشارد ، إلى العار الذى
يجلنى أنا ،

ولسوف تعلم أن ذراعى اليمنى القوية ،
تستطيع أن تختطف التاج من رأس هنرى
الضعيف ،

وتنتزع الصوبلجان الرهيب من قبضته ،

ولو كان له من الشجاعة فى الحرب .

١٥٥

مثل ما اشتهر به من طيبة ، وإيثار للسلام ،
وميل للتعبد .

رتشارد

: لا تلمنى يا لورد وريك ، فإنى أعلم ذلك حق
العلم ،

فحجى لمجدك هو الذى يحملنى على الكلام ،
ولكن ماذا أفعل فى هذه الأوقات العصيبة ؟
أنخلع الدروع ونشبح بملابس الحداد .

١٦٠

ونتلو الدعوات على المسابح ؟
أم نظهر وفاءنا وإخلاصنا
بأن نثار لأنفسنا بضرب رعوس أعدائنا ؟
فإن كانت الثانية فقولوا نعم .
وهيا إلى الحرب يا سادة .

١٦٥

وريك

: ولهذا جاء وريك ليبحث عنكم ،
: ولهذا أيضاً جاء أخى منتجيو .

استمعوا إلى يا سادة ، إن الملكة الوقحة المتكبرة
ومعها كلفورد ، ونورثمبرلند المتغطرس ،
وكثير من المتكبرين أمثالهم ،

١٧٠

قد جعلوا الملك اللين العريكة أطوع لهم من
ظلمهم

بعد أن أقسم اليمين على تولى بيتكم العرش ،
وسجل هذا القسم فى البرلمان ،
وهم جميعاً يجدون السير إلى لندن ،

ليحبطوا ذلك القسم ، وكل تعهد آخر
يكون ضاراً بمصالح بيت لانكستر
وأظن أن لديهم ثلاثين ألف مقاتل ،
ولكننا إذا استطعنا بمعاونة رجال نورفوك ،
وبمن تستطيع أنت يا إيرل مارتش الشجاع
أن تحشدهم

من أهل ويلز الموالين لك .

أن نجمع خمسة وعشرين ألف مقاتل .
فإننا سنأخذ طريقنا إلى لندن .

ممتطين مرة أخرى صهوة جيادنا المرغبة المزيّدة ،
وننادى مرة أخرى ، هيا اهجموا على أعدائنا !
ولن نرتد بعدئذ على أعقابنا أو نولى الأدبار .
أحسبني الآن أستمع إلى صوت وريك العظيم ،
ما عاش ولا رأى ضوء النهار من يصيح :

تراجع ! إذا أمره وريك بالشبات .

إنى لأعتمد عليك يا لورد وريك ،

رتشارد

إدورد

فإذا سقطت ، معاذ الله ، سقط معك إدورد
لا محالة ،

١٩٠

وحاشا الله أن يكون ذلك .

وريك : لم تعد إيرل مارتش ، بل أصبحت دوق يورك .

والخطوة التالية هي عرش إنجلترا الملكي ،
لأننا سننادى بك ملكاً على إنجلترا ، في كل بلد
نمر به

١٩٥

ومن لا يقذف بقلنسوته في الهواء ابتهاجاً بهذا
النداء ،

فسيجزى عن سوء فعله بقطع رأسه .

أيها الملك إدورد ، ويا رتشارد الباسل .
ويا منتجيو ،

هلموا بنا ! ولا نقعدن هنا نحلم بالحلم ،

بل انفخوا في الأبواق وهيا للعمل .

٢٠٠

إذن فلو كان قلبك يا كلفورد أشد من الحديد ،
كما دل مقالك على أنه كاللحجارة أو أشد قسوة ،
فهانذا في سبيلي إليك أمزق قلبك أو تمزق قلبي ،

رتشارد

إذن فدقوا الطبول ، وليكن الله والقديس

إدورد

جورج في عوننا . (يدخل رسول)

٢٠٥ وريك : ماذا وراءك ؟ ما الخبر ؟
 الرسول : إن دوق نورفوك يحملني إليك رسالة .
 إن الملكة قادمة في جيش قوى .
 وهو يلتمس اللقاء للتشاور في الأمر على الفور .
 وريك : وهكذا تستبين الأمور ، أيها المحاربون الشجعان
 هيا بنا .

(يتقدمون)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

قرع طبول . يدخل الملك هنرى ، والملكة مرجريت ، وأمير ويلز ، وكلفورد ، ونورثمبرلند ، على قرع الطبول والنفخ فى الأبواق .

الملكة مرجريت : مرحباً بك يا مولاي فى مدينة يورك الباسلة ،
وهذا رأس ألد أعدائك ،

الذى كان يسعى إلى أن يطوقه تاجك :

ألا يطرب هذا المنظر قلبك ، يا مولاي ؟

هـ الملك هنرى : أجل ، كما تطرب الصخور السفن التى
تخشى أن تتحطم عليها ،

وإن رؤية هذا المنظر لتحز فى نفسى .

أسألك يا رب ألا تنتقم منى ! فليس هذا الذنب
ذنبى .

ولم أحنث عامداً فى قسمى .

كلفورد : مولاي الرحيم ، ينبغى لك

أن تمحو من قلبك هذا اللين المفرط . وتلك

الرحمة الضارة .

ترى منذا الذى توليه الأسود نظرات الرحمة
والحنان ؟

أتوليها الوحش الذى يسعى لاغتصاب حريتها ؟
وأى يد تلعقها دبية الغاب ؟

إنها ليست يد الذى يفترس صغارها أمام عينيها .
ومنذا الذى ينجو من عضه الأفعى المميتة
المختبئة ؟

١٥

ليس هو الذى يطاء ظهرها بقدميه .
إن أصغر الديدان لتلتوى إذا ما وطئتها الأقدام ،
وإن الحمام لينقر دفاعاً عن فراخه ،
ودوق يورك الطموح كان يبتغى لبس تاجك ،
وكننت تبتسم وهو عابس مقطب الجبين .

٢٠

وكان ، وهو دوق لا أكثر ، يريد أن يكون
ابنه ملكاً ،
ويعمل لكى يرقى مقام أبنائه كما يعمل الأب
المحب لبنيه .

أما أنت يا صاحب الملك ، وقد من الله عليك
بابن كريم ،

فقد رضيت أن تحرمه حقه .

وأثبت بذلك أنك من أكثر الآباء بغضاً
لأبنائهم .

٢٥

إن الحلائق العجماوات التي لا عقل لها لتطعم
صغارها ،

وهي وإن روعها وجه الآدميين ،

لتهب للدفاع عن صغارها الضعاف ،

ضد ذلك الذي لم ير تلك الصغار بعد ، وتضرب
بأجنحتها

٣٠

التي استعانت بها على الطيران وهي مروعة

ذلك الذي صعد إلى عشها .

عار عليك يا مولاي ألا تقتدى بتلك الطيور .

اقتد بهذه الطيور .

أليس من المؤسف أن يفقد هذا الغلام الطيب

حقه الذي له بحكم مولده نتيجة لخطأ يقع

٣٥

فيه أبوه .

فيقول لابنه على طول الزمن فيما بعد ،

« إن ما ناله جد أبي وجدى ،

قد أضاعه أبي بإهماله وحماقته ؟ »

ذلك عمل إذا حدث يملك بالعار ! انظر إلى
الغلام ،

ودع وجهه الذى يفصح عن صفات الرجال ،
والذى يبشر بالمستقبل ، بالمستقبل الطيب
الموفق ،

٤٠

يقوّ قلبك الخائر . فتستمسك بحقك .

وتورثه هذا الحق من بعدك ،

الملك هنرى : لقد خطب كلفورد فأجاد كل الإجابة ،

وأتى بأعظم الحجج وأقواها .

٤٥

ولكنى أسألك يا كلفورد ، ألم تسمع فى يوم
من الأيام

أن المال الحرام يذهب من حيث أتى ؟

وهل سمعت يومًا أن السعادة كانت على الدوام

من نصيب ذلك الابن

الذى حُشِرَ والده ، لما كنزه من مال ، فى نار

الجحيم ؟

ألا إنى سأخلف لولدى أعمالى الصالحة من

٥٠

بعدى ،

وليت العالم يورثنى شيئًا غير هذه الأعمال !

ذلك أن كل ما عداها يتطلب الاحتفاظ به
من النصب
أضعاف أضعاف ما يأتي به من السعادة
القليلة .

أى ابن عمى دوق يورك ، ليت خير أصدقائك
يعرفون

مبلغ حزنى إذ أرى رأسك فى هذا المكان !

٥٥

الملكة مرجريت : مولاي ، قو قلبك ودع تلك الأحزان . وإن
العدو على الأبواب ،
وإن هذا الضعف البادى منك ليبعث الخور
فى قلوب أتباعنا .

لقد وعدت من قبل أن نرفع ابننا هذا الهمام
إلى مرتبة الفرسان ،
فهيا جرد سيفك واخلع عليه لقب « الفارس »
من فورك .

هيا اركع يا إدورد .

٦٠

الملك هنرى : يا إدورد بلانتاجنت . قم فأنت فارس ،
وتلق هذا الدرس ، جرد سيفك دفاعاً عن الحق .
الأمير : أبى الكريم ! بإذنك أيها المليك ،

سأجرده دفاعاً عن التاج ،
 ولن أغمده في هذا الصراع أو ألقى منيتي .
 ٦٥ كلفورد : مرحى ! هذا الكلام خليك بأن يصدر من أمير
 باسل .

(يدخل رسول)

الرسول : يا قواد جيش الملك ، خذوا حذرکم ،
 : فإن وريك مقبل عليكم بجيش ،
 في ثلاثين ألف مقاتل ، يؤيدهم دوق يورك ،
 وكلما مر ببلد نادى به ملكاً ،
 ٧٠ وما أكثر من يهرعون إليه .

نظموا صفوفكم ، فأعداؤكم قريبون منكم .
 كلفورد : أرجوك يا صاحب الجلالة أن تغادر ميدان
 القتال ،

لأن الملكة تظفر بأعظم النصر وأنت غائب .
 ٧٥ الملكة مرجريت : أجل يا مولاي الكريم ، ودعنا ومصيرنا .
 الملك هنرى : إن مصيركم هو مصيرى أيضاً ، ولذلك فإني
 باق معكم .

نورثمبرلند : إذن فليكن وأنت معتزم القتال .
 الأمير : أبى يا صاحب الجلالة الملكية ؛ اشدد عزائم

هؤلاء الأجداد ،

وقو قلوب من يقاتلون دفاعاً عنك .

جرد حسامك يا أبي الكريم ! وناد : « كن في

٨٠

عوفى يا قديس جورج ! » .

(رحف . يدخل إدورد . وجورج . ورتشارد ، ووريك ،
ونورفوك ، ومتيجيو ، وجنود)

إدورد : والآن يا هنرى . يا من حنث فى يمينك ،

هل لك أن تعثو على ركبتيك ؟

تطلب المغفرة وتضع التاج على مفرق ؟

أو تترك الأمر إلى ميدان القتال ،

وما يسفر عنه من حظ فيه هلاك واحد منا !

٨٥

الملكة مرجريت : ويلك أيها المتغطرس الوقح .

صب هذا التقرير على أتباعك

أيليق بك أن تنطق بهذه الألفاظ النابية

فى حضرة سيدك ومليكك الشرعى ؟

٩٠ إدورد : إنى أنا مليكه ، وعليه أن يجثو على ركبته أمامى ،

لقد نودى بى وارثاً للعرش برضاه .

وهاهوذا ، بعد ذلك ، قد حنث فى يمينه .

فلقد سمعت أنك . وأنت الملكة بالفعل ، وإن

كان هو يلبس التاج ،
قد حملته على أن يستصدر قرار جديداً من
البرلمان ،

٩٥

بالغاء حقى فى العرش ، وإحلال ولده محلى .

كلفورد

: وذلك حق لا جدال فيه ،

فمنذا الذى يخلف الأب غير الابن ؟

رتشارد

: أأنت هنا أيها السفاح ؟ لقد انعقد لسانى

فلا أستطيع الكلام .

كلفورد

: نعم أيها الأحذب ، هأنذا أقف لأرد عليك ،

وعلى أكبر متغطرس من أمثالك .

١٠٠

رتشارد

: لقد كنت أنت الذى قتل الشاب رتلند ،

أليس كذلك

كلفورد

: بلى ، وقتلت معه يورك العجوز ، ولما يشف

هذا غليلي .

رتشارد

: يا لله يا سادة ، مروا ببدا القتال .

وريك

: ما قولك يا هنرى ، أتسلم التاج ؟

الملكة مرجريت : ويحك يا وريك ياذا اللسان الطويل !

لا تجرؤ على النطق بهذه الألفاظ .

ألا تذكر يوم التقيت بك آخر مرة في سانت أولينز

فكانت ساقاك أنفع لك من يديك ؟

وريك : لقد كان دورى وقتئذ هو القرار ، أما الآن فهو دورك أنت .

١١٠ كلفورد : لقد قلت مثل هذا القول من قبل ، ومع ذلك فقد وليت الأدبار .

وريك : لم تكن شجاعتك ، يا كلفورد ، هي التي أبعدتني عن ذلك المكان .

نورثمبرلند : وليست رجولتك هي التي تجعلك تجرؤ على الثبات .

رتشارد : يا نورثمبرلند : إني أجلك ، ولكنني أدعوك إلى قطع هذا الحديد ،

فإني لا أستطيع أن أرد نفسي عن أن أصب ما يضيق به صدرى

على رأس كلفورد المتحجر القلب قاتل الأطفال ١١٥

كلفورد : إنما قتلت أباك ، فهل تدعو أباك هذا طفلا ؟

رتشارد : نعم لقد فعلت فعل الجبان الغادر الدنىء .
فقتلته كما قتلت أخانا رتلند الغضى الشباب ،

ولكنى سأرغمك على أن تلعن فعلتك هذه قبل
مغيب الشمس .

١٢٠ الملك هنرى : دعكم من التراشق بالألفاظ يا سادة ،
واستمعوا إلىّ .

الملكة مرجريت : أنذرهم إذن ، وإلا فأمسك لسانك .
الملك هنرى : أرجوك ألا تفرضى القيود على لسانى ،
فأنا ملك ومن حقى أن أتكلم .

كلفورد : مولاي ، إن الجرح الذى كان سبباً فى لقائنا
بهذا المكان

١٢٥ لا يمكن أن يلتئم بالكلام ، ولهذا أرجوك أن
تلتزم الصمت .

رتشارد : إذن فجرد سيفك أيها الجلاد .
قسماً ببارئ الخلق أجمعين ،
إنى لا يخالجنى شك فى أن رجولة كلفورد
ليست إلا شقشقة لسان .

إدورد : تكلم يا هنرى ، أأنال حقى أم لا أنا له ؟
١٣٠ إن من ورائى ألف رجل قد أفطروا اليوم ،
ولكنهم لن يذوقوا الغداء حتى تسلم التاج .

وريك : فإن أبيت فتبعة ما يراق من دماء واقعة على رأسك . ١٣٠

الأمير : لأن دوق يورك قد انتضى سيفه لنصرة الحق .
: إن كان حقاً ما يقول وريك إنه حق :
فلن يكون ثمة شيء باطل ، بل سيصبح كل شيء حقاً .

رتشارد : أياً كان أبوك ، فهي هي ذى أمك واقفة ،
وأنا أعلم حق العلم أن لسانك هو لسان أمك .
١٣٥ الملكة مرجريت : أما أنت فلست شبيهاً بأبيك ولا بأمك ،
ولكنك إنسان قادر ، مشوه ، زعيم .
وسميتك الأقدار بميسم ينبذك الناس من أجله
ويبتعدون عنك ،

كما يبتعدون عن الضفادع السامة ،
والوزغ ذات اللدغات الرهيبة .
١٤٠ رتشارد : أيا حديد نابلي الحسيس ، غشاه طلاء من
ذهب لإنجلترا ،
يا من يحمل أبوها لقب ملك ، كأن من حق
القناة أن تلقب بحراً ،
ألا تستحين ، وأنت لا تجلهين منبتك ،

أن تطلقى لسانك فيكشف عن أصلك الحقير ؟
 : إن حزمة من القش لتساوى ألف تاج ،
 لو أنها جعلت هذه السليطة الفاجرة تعرف
 حقيقة أمرها .

إدورد

١٤٥

لقد كانت هلين اليونانية تفوقك جمالا ،
 ومع ذلك فقد يكون زوجك منلوس ^(١) ،
 ولم يصب أخوه أجمنون من جراء فعلة هذه
 المرأة الخائنة

١٥٠

بمثل ما أصيب به هذا الملك بفعلك .
 لقد كان أبوه ^(٢) يصول غير مدافع فى قلب
 فرنسا ،

وأخضع ملكها وأذل ولى عهدها ،
 ولو أنه زوجه زواجاً يليق بمكانته ،
 لكان غير بعيد أن يحتفظ بهذا المجد حتى اليوم .
 لكنه حين اتخذ متسولة مثلك قرينة له ،

١٥٥

(١) منلوس هو زوج هلين اليونانية التى فرت مع باريس إلى طروادة وعاشت معه ،
 وكان فرارها هذا سبب الحرب التى شبت نازها بين طروادة والمدن اليونانية ، كما ورد فى إلياذة
 هوميروس ، وأجمنون ملك إسبرطة هو أخو منلوس الذى حارب معه الطرواديين .
 (٢) الملك هنرى الخامس .

متفضلاً بزواجه هذا على أبيك ،
 غشيت نجمه الساطع سحابة في ذلك اليوم نفسه ،
 تجمعت فهطلت مطراً غزيراً ،
 اكتسح ما كان له من أملاك في فرنسا ،
 وأثار الفتنة على تاجه في بلده .

وإلا فما الذى أثار هذا النزاع غير كبريائك ؟
 ولو أنك كنت على شيء من الوداعة
 لظل حقنا هذا مستكناً على الدوام ،
 ولأرجأنا نحن المطالبة به إلى غير هذا الوقت ،
 رحمة منا بهذا الملك الوديع .

: فلما رأيناك قد أينعت في ضوء شمسنا

جورج

إيناع النبت في الربيع .

وازدهرت فلم يصب أحد منك خيراً ،
 أعملنا الفأس في جذورك التى حلت في غير
 أرضها .

ألا فلتعلمي أننا ، وإن عاد علينا عملنا بشيء
 قليل من الأذى .

فإننا ، وقد بدأنا نضرب فيك بمعولنا ،
 لن نرجع عما نحن بسبيله حتى نجتث جذورك

أو نروى بدمائنا السخية منبتك ،
 إدورد : وليكن عزمنا هذا تحدياً لى منك ودعوة للقتال ،
 فلسنا نرغب بعدئذ فى التفاوض ،
 ما دمت قد منعت الملك الوديع من الكلام .
 انفخوا فى الأبواق ، وانشروا بنود القتال ،
 خفاقة فى الهواء .
 فإما إلى النصر ، وإما إلى القبر .

١٨٠ الملكة مرجريت : تمهل يا إدورد .
 إدورد : لن أتمهل ، أيتها المرأة المجادلة ، ولن نبقى هنا
 بعد الآن :
 إن هذه الألفاظ ستودى اليوم بحياة عشرة
 آلاف من الرجال

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

ميدان قتال بين تونين وسكستن من أعمال يوركشير
طبول . . . مناوشات . . . يدخل وريك . . .

وريك : لقد أنهك العمل المجهود قوى ، كما ينهك
العدائين فى سباق ،
وسأرقد برهة من الوقت ألتقط فيها أنفاسى ،
لأن ما تلقيته من طعنات ، وما كلفته من
ضربات ،
قد سلبا عضلاتى المتينة كل ما فيها من قوة ،
ومهما تأت به الأقدار فلاستريحن قليلا .
(يدخل إدورد مهرولا)

إدورد : ابتسمى أيتها السماء الرحيمة ؛ أو سدد لنا
ضرباتك أيها الموت القاسى !
لأن هذا العالم قد تجهم لنا ، وآذنت شمس
إدورد بالأفول

وريك : ما الخبر يا سيدى ؟ وما هو حظنا ؟ وهل لنا

أمل في خير فرتجيه ؟ (يدخل جورج)
جورج : فأما حظنا فهو الحسران ، وأما أملنا فهو
اليأس المحزن ،

لقد تحطمت صفوفنا ، وحق بنا الدمار ، ١٠

فماذا تشيرون ؟ وأنى يكون الفرار ؟
إدورد : فأما الفرار فلا فائدة منه ، لأنهم يتعقبوننا
جادين مسرعين ،
ونحن ضعاف لا نستطيع الإفلات من
المطاردين (يدخل رتشارد)

رتشارد : آه ، يا وريك ، لم انسحبت من الميدان ؟

وقد ارتوت الأرض الظمأى بدماء أخيك ، ١٥
بعد أن نفذت فيه طعنة من سنان رمح كلفورد ،
وصاح وهو يعالج سكرات الموت ،
صبيحة تسمع من بعيد كأنها صلصلة أجراس
حزينة ،

« الثأر ، يا وريك ، الثأر يا أخى لموتى ! »
وبهذا أسلم السيد النبيل الروح تحت سنابك
خيالهم ، ٢٠

بعد أن تلطخت حوافرها بدمائه الزكية ،

وريك

: إذن فلترو دماؤنا الأرض ،

وسأقتل جوادى لأنى لا أريد الفرار .

ولم نقف فى هذا المكان كما تقف النساء اللاتى

لا مرة لهن ،

٢٥

نندب خسائرننا ، والعدو يرغى ويزبد ،

نشاهد ما يقع . كأن المأساة مسرحية هازلة

يقوم بأدوارها ممثلون مقلدون ؟

وهأنذا أجتو على ركبتى ، وأقسم بالله العلى

الأعلى ،

ألا أقف مرة أخرى عن القتال .

٣٠

حتى يغمض الموت عينى هاتين ،

أو يتيح لى الحظ كفايتى من الانتقام .

: وإنى لأركع معك يا وريك ،

إدورد

وأربط روحى بروحك فى هذا القسم .

وقبل أن أرفع ركبتى عن وجه الأرض الذى

لا حرفيه .

٣٥

أمد يدى ، وأرنو ببصرى ، وأهفو بقلبي ،

لك يا رب يا رافع الملوك وخافضهم ،

متوسلا إليك إذا اقتضت مشيئتك

أن يكون بدنى هذا فريسة لأعدائى ،
 أن تفتح لى أبواب جنتك الموصدة ،
 وأن تهدى روحى الآثمة الصراط المستقيم ،
 والآن أيها السادة ، انصرفوا ، وإلى اللقاء
 ٤٠ مرة أخرى ،

حيثما يكون اللقاء ، سواء فى الأرض أو فى
 السماء .

رتشارد : أخى امدد إلى يدك ، وأنت يا وريك الكريم ،
 دعنى أضملك بين ذراعى المتعبتين ،

وأنا الذى لم تدمع عينائى قط ، أذوب الآن
 ٤٥ حسرة ،

لأن المصائب قد قضت على ما كان لنا من
 نعيم .

وريك : هيا بنا ، هيا بنا !! وداعاً مرة أخرى أيها
 السادة النجب

جورج : هلموا بنا جميعاً نسير إلى جنودنا .

ولنأذن لكل من لا يريد الثبات معنا بالفرار ،
 أما الذين يبقون معنا فسيكونون هم عوننا وحصننا
 ٥٠ الحصين .

لنعدهم بأننا إذا حالفنا النصر ، جازيناهم
بما كان يجزى به المنتصرون في الألعاب
الأولمبية .

فقد يبت هذا روح الشجاعة في قلوبهم
المنخوبة ،

لأننا لا نزال نأمل في الحياة وفي النصر .
لا تنبأطوا بعد الآن ، وهلموا بنا إلى الفوز .

الفصل الثانى

المنظر الرابع

جره آخر من ميدان القتال
مناوشات . يدخل رتشارد وكلفورد

- رتشارد : هأنذا يا كلفورد قد ظفرت بك منفرداً .
هب هذه الذراع تتأثر لمقتل دوق يورك ،
وهذه لمقتل رتلند ، كلتاها مصممة على
الانتقام منك ،
ولو كنت محوطاً بأسوار من نحاس .
- كلفورد : استمع يا رتشارد ؛ إنك الآن أمامى بمفردك ،
وهذه هى اليد التى طعنت بها أباك دوق يورك ،
وهذه هى اليد التى ذبحت بها أخاك رتلند ،
وذاك هو القلب الذى يبتهج بموتهما ،
وينادى هاتين اليدين اللتين أزهدتا روح أبيك
وأخيك ،

بأن تفعلنا بك ما فعلتا بهما . فخذ هذه مني !
 (يقتلان ، ويدخل وريك ، ويفر كلفورد)
 : لا يا وريك ، الشمس لك طرازاً غير هذا
 فسوف أطارده أنا هذا الذئب أو أهلكه .
 (يخرجان)

رتشارد

الفصل الثاني

المنظر الخامس

جره آخر من الميدان - دعوة إلى القتال
يدخل الملك هنرى وحده

الملك هنرى : إن هذه الحرب سجال ، أشبه ما تكون بما
يحدث من عراك فى الصباح ، حين
تصطرع السحب المدبرة مع الضوء المقبل
المتزايد ، وحين ينفخ الراعى فى أظافره ،
وهو لا يدرى أىسمى الوقت نهاراً ساطعاً
أم ليلاً .

فهى تميل إلى هذا الجانب تارة ، كأنها بحر لجى
يدفعه الموج ليقاتل الريح ،
وتميل تارة أخرى إلى ذلك ، كأنها هذا البحر
بعينه ،

اضطره إلى التراجع عصف الريح .

فحيناً يغلب الموج ، وحيناً تغلب الريح ،
يعلو أولهما ساعة ، ثم تعلو عليه الثانية ساعة
أخرى .

يريد كلاهما أن ينتزع لنفسه النصر ، ويقفان
وجهاً لوجه ،

ولكنهما يخرجان لا غالب ولا مغلوب :
هكذا شأن هذه الحرب اللعينة التي تتعادل فيها
الكفتان .

فلأجلسن على هذا الكثيب المنخفض ،

وسيكون النصر لمن يريده له الله !
فقد أبعدتني الملكة ، وأبعدني كلفورد أيضاً
عن المعركة ،

وأقسم كلاهما أنهما يصيبان كل النجح حين
أكون بعيداً عنها .

ألا ليتني مت قبل هذا ! إن كانت هذه
مشيئة الله ،

فأى شيء في هذا العالم غير الأحزان والآلام ؟
رباه ! إني لأظن أني أسعد بالحياة ، لو لم أكن

خيراً من فلاح وضيع ؛
أجلس على تل ، كما أجلس في هذه الساعة ،
أرسم على الأرض مزاويل عجيبة ، نقطة بعد نقطة
أرغب بها الدقائق وهي تمر .

وأحسب كم دقيقة تكمل بها الساعة ،
وكم ساعة يتم بها اليوم ، وكم يوماً يحتويها
العام ،

وكم عامًا يعيشها الإنسان الفاني ،
حتى إذا فرغت من هذا ، عدت أقسم الوقت .
كم من الساعات أرى فيها غنى ،

وكم من الساعات أستريح فيها من عناء عملي ،
وكم من الساعات أفكر فيها وأتأمل ،
وكم من الساعات أخصها لرياضتي ،
وكم من الأيام قضتها ناعجى في الحمل .
وكم أسبوعًا تمضي قبل أن نقطع هذه البله
المساكين ،

وكم سنة تمضي قبل أن أجز الصوف .
وهكذا تمر الدقائق ، والساعات ، والأيام ،

٢٥

٣٠

٣٥

والشهور ، والسنون ،

حتى تنتهى إلى أجلها الذى خلقت له
فتكلىل الرأس بالمشيب ، وتؤدى إلى القبر
الساكن الهادئ .

ألا ما كان أسعد هذه الحياة ، وما أحلاها !
وأجملها !

أليس الظل الذى يتفيؤه الرعاة ،

إلى جانب شجيرات العضة ،

وهم يرقبون أغنامهم البريئة ،

أحلى من الظلل المزرکشة يستظل بها الملوك
الذين يخشون غدر رعاياهم

أجل إنها كذلك ، إنها لأحلى منها ألف مرة .

وأخيراً ، أقول إن اللبن المخثر البسيط ،

وهو الشراب الذى يتناوله من زقه الجلودى .

ونومه المعتاد فى ظل شجرة يهب عليها النسيم ،

يستمتع بهما وهو آمن مستريح ،

لأحلى من لذيذ المأكلى الذى ينعم به أمير ،

ومن الخمر تتلأأ فى الكأس الذهبية ،

وإن نوم الراعى لأروح من نوم الأمير فى

٤٠

٤٥

٥٠

فراش وثير ،

إذا ما ترصده الهم والريبة والغدر .

(طبول . يدخل ولد قتل أباه ومعه جثته)

: بثست الريح التي لا يفيد منها أحد .

الابن

إن هذا الرجل الذي قتلته في حرب تقاتلنا فيها
فرداً لفرد ،

قد يكون في صدرته الكثير من المال ،

٥٥

وأنا الذي قد آخذه منه الآن ،

ربما أسلمت ، قبل أن يجن الليل ، حياتي ،

وأسلمت هذا المال إلى إنسان سواي ،

كما أسلم هذا الرجل لي ماله وحياته .

من هذا ؟ رباه ! إن هذا وجه أبي ،

٦٠

الذي قتلته في هذه المعركة على غير علم مني .

إيه أيها الدهر النكد ، الذي يتمخض عن هذه
الحادثات .

لقد جئت من لندن طوعاً لأمر الملك ،

وإذ كان أبي من رجال إيرل وريك ،

فقد أتى محارباً في جيش إيرل يورك طوعاً
لأمر مولاه .

٦٥

وأنا الذى نلت على يديه نعمة الحياة . . . ،
قد سلبته أنا بيدي هاتين حياته .

مغفرة يا رب ، إني لم أكن أعرف ما فعلت !
ومغفرة يا أبتاه ، فإني لم أكن أعرفك ،

وإني لأغسل بدموعي هذه الجروح الدامية ،
وسأمسك عن الكلام حتى تذرف عيناى كل
ما فيهما من دمع .

٧٠

الملك هنرى : يا لك من منظر بشع ! ويا لك من زمان جرت
فيه الدماء !

فبيننا تقاتل الأسد وتحترب دفاعاً عن عرينها ،
نرى الحملان الوديعه المسكينه تتحمل عداها
وأذاها .

اذرف الدمع أيها الإنسان البائس ، وسأواسيك
دمعة بدمعة ،

٧٥

وليكن قلبانا وأعيننا فى شبه حرب أهلية ،
تعمى فيها العيون من الدمع ، ويتفطر فيها
قلباننا من شدة الحزن

(يدخل أب قتل ابنه ، وجثته بين ذراعيه)

: أنت يا من كنت تقاومنى مقاومة الأبطال .

الأب

هات ما معك من مال ، إن كان لديك مال ،
لأنى ابتعته منك بمائة ضربة .

٨٠

ولكن لأنظر أولا ! هل هذا وجه عدو لنا !
آه ، لا ، لا ، إنه وجه ولدى الوحيد !
أى بنى ، إن كان لا يزال فيك رفق من
حياة ،

فافتح عينك ، وانظر ما تفيض به عيناي من
دمع غزير ،

٨٥

تدفعه العاصفه الهوجاء التى ثارت فى قلبي ،
فيساقط على جروحك ، التى تهلك منى العين
والقلب .

أولنا رحمتك يا رب من هذا العصر الملىء
بالشقاء !

ألا ما أفضع ما تثيره هذه الحرب فى كل يوم
من خدع ومكائد !

وما أفضعها وأشد هولها ، وما أكثر أخطاءها
وفتنها ، وقسوتها !

أى بنى ، لقد وهبك أبوك الحياة قبل الأوان .
وسلبها منك منذ زمن وجيز !

٩٠

الملك هنرى : يا لك من كوارث وأحزان ليس كمثلهما أحزان !
 ألا ليت موتى يقضى على هذه الفعال الشنعاء !
 الرحمة ، الرحمة ، أيتها السموات ، أفيضى
 علينا من رحمتك !

٩٥ إن الوردتين الحمراء والبيضاء كلتيهما على وجهه
 وهما شارتا الدمار لبيتينا المتنازعين .
 فالأولى يشبهها أشد الشبه دمه القانى ،
 والأخرى يمثلها فى ظنى خداه الشاحبان .
 ألا فلتذبل واحدة ولتينع الأخرى .

١٠٠ أما إذا تناحرتما فى التناحر ضياع ألف حياة .
 الابن : ترى أى شىء ينالنى من أى جزاء لى على قتل
 أبى !

ثم يا ليتهما بعدئذ تقنع !
 الأب : وأى دمع مدرار تسفكه زوجى لمقتل ابنى !
 ثم يا ليتهما بعدئذ تقنع !

١٠٥ الملك هنرى : وما أقسى ما تحكم به البلاد على الملك .
 من جراء هذه الظروف المحزنة ، ثم يا ليتهما تقنع

الابن : هل حزن ابن على موت أب مثل حزنى ؟
 الأب : وهل ندب أب ابنه مثل ما ندبت ابنى ؟

- الملك هنرى : وهل حزن ملك لمصائب رعاياه مثل حزنى ؟
- ١١٠ إن حزنكما لعظيم ، ولكن حزنى عشرة أضعافه .
- الابن : سأحملك من هذا المكان ، حيث أبكيك
ما وسعنى البكاء . (يخرج بجثة أبيه)
- الأب : ستكون ذراعى هاتان كفنك ،
وسيكون قلبى أى بنى الحبيب جدثك ،
لأن صورتك لن تمحى قط من قلبى ،
وستكون زفراى المتأججة فى صدرى ناقوس
١١٥ جنازتك ،
وسيرثيك أبوك يا بنى بعد أن فقدك أنت ابنه ،
الوحيد ،
- كما رثى بريام ^(١) جميع أبنائه البواسل .
- سأبتعد بك عن هذا المكان ، وليقاتل من
يريد القتال ،
فقد قتلت من لا يحل لى أن أقتله . (يخرج بالجثة)
- ١٢٠ الملك هنرى : يا صاحبي القلب الحزين ، يا من أثقلهما
الهم وغلبهما الأسى ،

(١) بريام ملك طروادة الذى فقد أبنائه فى القتال .

ها هو ذا ملك أشد منكما حزنًا وشقاء .

(طبول ، مناوشات . تدخل الملكة مرجريت ، والأمير
وإكستر) .

الأمير : الفرار ، الفرار ، يا أبت ! فقد ولى جميع
أصدقائك الأدبار ،

ووريك ثائر كأنه الثور المهتاج .
ابتعد ! فالموت من ورائنا يطاردنا .

١٢٥ الملكة مرجريت : اركب يا مولاي ، وسر مسرعًا نحو بريك .
فإن إدورد ورتشارد من ورائنا كأنهما كلبان
من كلاب الصيد ،

يتراعى لهما أرنب خائف مذعور هارب .
تقدح أعينهما الشرر من فرط الغضب .
وفى يديهما المهتاجتين سيفاهما يقطران دمًا .

١٣٠ إكستر : فهما يريدان الثأر ، ولا تقف لتناقش ،
بل عجل ،

وإلا فاتبعنى : لأنى سأسبقك .

الملك هنرى : بل خذنى معك ، يا إكستر الطيب العزيز ،
وليس ذلك لأنى أخشى البقاء فأموت ،

بل لأنى أريد الذهاب حيث تريد الملكة أن
تكون .

هيا . ولنبتعد عن هذا المكان !

الفصل الثاني

المنظر السادس

جزء آخر من ميدان القتال . طبول عالية . يدخل كلفورد جريئاً .

كلفورد : ها هي ذى شمعتي يخبو نورها ، أجل وها هي
ذى تنطقي

وقد كانت ، وهي ساطعة ، تبعث النور إلى
الملك هنري .

أى لانكستر ، إني لأخشى أن تسقط .
أكثر من خشيتي أن تفارق روحي جسدي .
لقد كان حب الناس إياي وخوفهم مني ،
يجمعان كثيراً من الأصدقاء حولك .

والآن وقد أوشكت أن تسقط ، فإن هذا
الجمع القوي يذوب ،
فيفسد الأمر على هنري ، ويقوى يورك
المتغطرس ،

أما عامة الشعب فيحومون كما يحوم ذباب الصيف . . .

وأين تطير البعوض إلا نحو الشمس ؟
ومن ذا الذى يسطع ضياؤه الآن غير أعداء
هنرى ؟

أى فيبوس . لو أنك لم ترض قط
أن يكبح فيتون جماح جيادى الملتهبة النارية
لما أشعمت مركبتك الحارقة وجه الأرض بنارها .
وأنت يا هنرى ، لو أنك حكمت كما يجب
أن يحكم الملوك ،

أو كما حكم أبوك ووالد أبيك ،
ولم تسخ بالهبات على بيت يورك ،
لما برزوا كما يبرز ذباب الصيف ،
ولما تركت أنا وعشرة آلاف غيرى فى هذا
البلد البائس ،

أرامل يبيكين موتنا ،
ولاحتفظت أنت اليوم بعرشك يرفرف عليك
علم السلام .
وإلا فأى شىء ينمى النبات الطفيلي غير
الريح الرخاء ؟

ف ٢

وأى شيء يزيد من جرأة اللصوص غير الرأفة
واللين ؟

ألا ما أضيع شكائى . وما أشد استعصاء جراحى
على الشفاء !

٢٥

فقد سدت فى وجهى سبل الفرار ، وليس
لى قوة تعيننى على الحرب ،
والعدو لا يرحم ولا يعرف غلبه الشفقة .
لأنى لا أستحق منه رحمة ولا شفقة .
لقد نفذ الهواء إلى جراحى القاتلة ،
ونزفت منى الدماء الغزيرة فخارت قواى .

٣٠

تعال يا يورك . ورتشارد . ووريك ومن معكم ،
لقد طعنتم بسناني صدور آبائكم فهيا مزفوا
صدري .

(يقع معشباً عليه)

(طبول ، وتقهقر . يدخل إدورد ، وجورج ، ورتشارد .
ومنتحمو ، ووريك ، وجنود)

إدورد : الآن أيها السادة قفوا نتنفس : إن حظنا الباسم
يدعونا إلى الوقوف ،

لتمحو تيجهم القتال بعلامح السلام .

وليقتف بعض الجند أثر الملكة المجرمة ،
 التي كانت تسيره ، وإن يكن ملكاً ،
 كما يسير الشراع ، وقد امتلأ بالرياح العاصفة .
 السفينة في البحر لمغالبة الأمواج .
 ولكن هل تظنون يا سادة أن كلفورد قد فر
 معهم ؟

٣٥

وريك : لا ، إن فراره لمستحيل .

لأن أخاك ، وأنا أقول ما أقول أمامه ،
 قد كال له من الضربات ما يواريه لحده .
 وأنى يكون هو الآن فلا شك أنه من الأموات .
 (كلفورد يتن وبموت)

٤٠

إدورد : أى روح هذه التي تودع الحياة هذا الوداع
 الثقيل ؟

رتشارد : إنه أنين الموت ، كأن الحياة والموت يتصلان ؟

٤٥ إدورد : تبينوا من هو ، والآن وقد انتهت المعركة ،
 فلتشفقوا عليه صديقاً كان أو عدواً .

رتشارد : ارجع فيما قلت به من رحمة ، لأنه هو كلفورد

فهو حين قتل رتلند لم يقنع

بقطع الغصن حين شرع ينبت ورقه ،

- ٥٠ بل عمداً إلى سيفه فاجتث به الأصل ،
الذى ينبت منه ذلك الفرع الطيب .
وأنا أعني بذلك الأصل أبانا الأمير دوق يورك .
- وريك : إيتوني من أبواب يورك برأس أبيكم ،
لأن إدورد قد علّقه فوقه .
- ٥٥ وضعوا هذا الرأس في مكانه ،
حتى يكون الجزء من جنس العمل .
- إدورد : بل أحضروا هذه البومة الناعقة التي كانت
نذير شؤم لبيتنا ،
فهي لم تكن تنطق إلا بالموت لنا ولأبنائنا ،
وسيسكت الموت الآن صوته المحزن المنذر ،
فلن ينطق لسانه بعد الآن بالشر .
- ٦٠ أظنه قد فقد وعيه .
وريك
- تكلم يا كلفورد ، هل تعرف من الذي يتحدث
إليك ؟
إن سحب الموت القائمة تظلم ضياء حياته ،
فلا يرانا أو يسمع ما نقول .
- ٦٥ رتشارد : ألا ليته كان يسمع ويرى ! أو لعله يفعل :
فقد جرى على سنة الخداع والتصنع ،

حتى يتجنب التقرير المرير ، الذى كاله لأبيه
وقت موته .

جورج : إن كنت تظن هذا فأثره بأشد الألفاظ سخرية
رتشارد : يا كلفورد ! اطلب الرحمة ، فإنك لن تنال
المغفرة .

٧٠ إدورد : يا كلفورد ! اندم ولن ينفعك الندم .
وريك : اصطنع المعاذير لسيئاتك .
جورج : فى حين نحن ندبر لك العذاب الأليم من جراء
آثامك .

رتشارد : لقد كنت تحب يورك ، وأنا ولد يورك
إدوارد : وكنت ترثى لرتلند . وسأرتى أنا لك .
٧٥ جورج : أين القائد مرجريت ليحميك الآن ؟
وريك : إنهم يسخرون منك يا كلفورد ، فسبهم كما
جرت بذلك عادتك .
رتشارد : ما هذا ! ألا تنطق بكلمة سباب واحدة ؟ لعل
شرًا حاق بالعالم
فسكت كلفورد حتى لم يجد لعنه يصبها على
رأس أصدقائه .
إن هذا لينبئ أنه مات . قسمًا بحياتى .

لو أن في مقدور يدي اليمنى أن تطيل حياته
ساعتين ،

٨٠

كى أستطيع أن أشفى غليلي كله بالسخرية منه
إذن لقطعتها بيدي اليسرى ، ولأغرقت بالدم
المفتعجر منها

ذلك الوغد الذى لم ينقع غليله دم يورك والشاب
رتلند .

وريك

: نعم ، ولكنه ميت ، فاقطع رأس هذا الخائن ،

وارفعه حيث يوجد رأس أبيك ،

٨٥

ثم لنذهب إلى لندن نسير سير الظافرين ،

لقتوج ملكًا على إنجلترا ،

ومنها يقطع وريك البحر إلى فرنسا ،

ليطلب يد السيدة بونا ملكة لك ،

فتربط بذلك البلدين بعضهما ببعض ،

٩٠

فإذا أصبح ملك فرنسا بهذا الرباط صديقًا لك ،

فإنك ان تخشى عدوك الذى تبدد شمله ،

والذى يأمل أن ينهض مرة أخرى .

وهم ، وإن كانوا أضعف من أن يلحقوا بك

أذى كبيراً ،

يتوقعون أن يؤذوا آذانهم بصخبهم .
 سأشهد أولاً حفلات التتويج ،
 ثم أعبر البحر إلى بريتاني لأتم الزواج ،
 إذا شاء ذلك مولاي .

٩٥

إدورد : ليكن ما تريد ، يا عزيزي وريك ، ليكن هذا
 لأنني أقيم ملكي على عاتقك .

١٠٠

ولن أقدم أبداً على عمل ،
 إذا لم يكن مؤيداً بنصحك ورضاك .
 وأنت يا رتشارد سأجعلك دوق جلوستر ،
 وأنت يا جورج ، دوق كلارنس ،
 وأما وريك فسيكون مقامه كمقامنا ،
 ينقض من الأمور ويبرم ما يريد .

١٠٥

رتشارد : لأكن أنا دوق كلارنس . وليكن جورج دوق
 جلوستر .

لأن دوقية جلوستر سيئة الطالع .

وريك : ذلك منك قول أخرق .

وريك

فلتكن يا رتشارد دوق جلوستر . والآن هلم إلى
 لندن .

نرى هذه المظاهر الشريفة تتحقق .

الفصل الثالث

المنظر الأول

غابة في شمال إنجلترا

بدخل حارسان من حراس الصبد وبأيديهما قوسان

الحارس الأول : لنستتر في هذا المكان ذى الشجر الكثيف ،
لأن الغزلان ستأتى عن قريب إلى هذه الحميلة .
وفي هذا المحباً نتخذ موقفنا .
لنقتنص خير الغزلان جميعاً .

هـ الحارس الثانى : وسأقف أنا فوق التل ، حتى يطلق كلانا
سهامه .

الحارس الأول : هذا لا يمكن أن يكون ، فإن ما سيحدثه
قوسك من الصوت
سينفر قطيع الغزلان ، وبهذا يذهب سهمى
أدراج الرياح .
إذن فلنقف كلانا في هذا المكان ، ونطلق
سهامنا على خير الغزلان .
وحتى لا يتسرب إلينا الملل من طول الوقت ،

سأحدثك عما وقع لى فى يوم من الأيام
فى هذا المكان الذى نعتزم الوقوف فيه الآن .
الحارس الثانى : ها هو ذا رجل قادم فحونا ، فلننتظر حتى يمر .
(يدخل الملك هنرى متخفياً وييده كتاب صلوات)

الملك هنرى : لقد جئت خلصة من أسكتلندة يدفعنى حى
الخالص

لأن أحيى أرضى بنظرات طالما تقت لأن أحييها
بها .

كلا يا هنرى ، يا هنرى ، ليست هذه أرضك .
لأن مكانك قد احتله غيرك ، وانتزع صوب لجانك
من يدك .

وأزيل عنك الزيت الذى مسحت به .
ولن يناديك الآن أحد . وهو جاث على ركبتيه
« يا فيصر »

ولن يقف ببابك المتوسلون الأذلاء يطلبون
إليك النصفة .

وهل أستطيع إنصاف الناس وأنا لا أستطيع
أن أنصف نفسى ؟

الحارس الأول : هذا غزال يكفى جلده أجراً لحارس ،

هذا هو الملك السابق ، فلنقبض عليه ،

الملك هنرى : أيتها الشدائد المريرة أقبلى أعانقك ،
فقد قال الحكماء إن عناقك أحكم السبل .

٢٥ الحارس الثانى : لماذا تطيل الانتظار ، هيا بنا نقبض عليه .

الحارس الأول : اصطرع هنيهة ، حتى نسمع قليلا مما يقول .

الملك هنرى : لقد ذهبت الملكة وذهب ولدى إلى فرنسا
يلتمسان العون ،

ولقد ترامت لى الأنباء بأن وريك القائد العظيم
قد ذهب أيضاً إليها يلتمس من ملك فرنسا

٢٠ أن يزوج أخته من إدورد . فإذا صح هذا النبأ ،
باعت جهودكما بالحيبة أيتها الملكة المسكينة
وأيتها الولد المسكين .

ذلك أن وريك خطيب مصقع حاذق ،
ولويس أمير لا يلبث معسول اللفظ أن يؤثر فيه ،
ولو كان هذا كل ما فى الأسر

٢٥ لكان فى مقدور مرجريت أن تكسبه ،
فهى امرأة تستدر كثيراً من الرحمة ،
وأهاتها خليقة بأن تمزق صدره ،

ودموعها تنفذ إلى القلب ولو كان قد قدّ من
الصخر .

وإن حزنها لخليق بأن يذلل النمر .

٤٠

وإن نيرون نفسه ليصيبه الأسى على غير عادته
إذا سمع شكواها وأبصر دموعها الأجاج .
ولكنها جاءت لترجو وتسأل . أما وريك فقد
جاء ليعطى .

هى عن يساره تلتمس العون إلى هنرى .

وهو عن يمينه يطالب زوجة لإدورد .

٤٥

هى تبكى وتقول إن هنرى قد أنزل عن عرشه .
وهو يبتسم ويقول إن إدورد قد ارتقى العرش ،
وهى البائسة المسكينة يمنعها الحزن أن تسترسل
فى الكلام ،

أما وريك فينطلق يشرح رسالته ، ويصلح
ما فسد ،

وسوق من الحجج أقواها فيكسب الملك منها
آخر الأمر ،

٥٠

إذ يعده بأن يزوج أخته من إدورد .

وهل ثمة شيء بعد هذا يقوى مركز الملك إدورد
ويثبتته .

واهاً لك يا مرجريت ! هذا ماسيكون ،
وستخرجين أيتها المسكينة
منبوذة محسورة كما ذهبت .

الحارس الثانى : قل لى . من أنت يا من تتحدث عن الملوك
والملكات ؟

هـ الملك هنرى : أنا أكبر مما يدل عليه مظهرى . وأقل من
المكانة التى ولدت لها :

أنا رجل فى القليل . لأننى لن أكون أقل
من رجل .

ومن حق الرجال أن يتحدثوا عن الملوك ، ولم
لا يتحدثون عنهم ؟

الحارس الثانى : ولكنك تتحدث كما لو كنت ملكاً .

الملك هنرى : ولم لا ، وأنا ملك بروحى وهذا حسبى .

٦٠ الحارس الثانى : إن كنت ملكاً ، فأين تاجك ؟

الملك هنرى : إن تاجى فى قلبى . لا على رأسى .

غير مرصع بالماس ، ولا بجواهر الهند .

ولا تراه العين ، إن تاجى ليسمى القناعة ،

وهى تاج قلما ينعم به الملوك .

٦٥ الحارس الثانى : وإن كنت تتوجك القناعة والرضى ،
فلترض بأن تسير معنا أنت والقناعة تاجك ،
لأننا نظن أنك الملك الذى خلعه الملك إدورد .
وإذ كنا نحن من رعاياه الذين أقسموا يمين
الولاء له ،

فإنا سنقبض عليك بوصفك عدوًّا له .

٧٠ الملك هنرى : ولكن ألم تقسم يومًا ثم حنثت فى قسمك ؟

الحارس الثانى : لم أقسم مثل هذا القسم ، ولن أقسمه الآن .

الملك هنرى : وأين كنت تقيم حين كنت أنا ملك إنجلترا ؟

الحارس الثانى : هنا فى هذا الإقليم حيث نقيم الآن .

الملك هنرى : لقد توجت ملكًا وأنا فى الشهر التاسع من عمرى ،

وكان أبى وجدى ملكين .

٧٥

وأنما قد أقسمت أن تكونا من رعايا المخلصين :

فقولوا لى إذن ألم تحنثا فى قسميكما ؟

الحارس الأول : لم نحنث .

فإنا لم نكن من رعاياك إلا حين كنت ملكًا .

٨٠ الملك هنرى : عجبًا وهل مت ؟ أأست أتنفس كما يتنفس

الرجال ؟

ويلكما أيها الأبلهان ، إنكما لا تعرفان قيمة
أيمانكما .

انظرا ! إننى أنفخ هذه الريشة بعيدة عن
وحيى ،

فيردها الهواء مرة أخرى نحوى .

تسوقها أنفاسى إذا أخرجتها ،

وتطيع أنفاس غيرى إذا هبت عليها ،

مؤتمرة بأقوى الأنفاس على الدوام .

فهكذا أنتم فى طيشكم أيها الدهماء .

ولكن لا تحثثا فى أيمانكما .

لأنى أعيد كما أن تتركبا هذا الإثم .

بسبب رجائى الرقيق إليكما .

٨٥

٩٠

فسيرا حيث شئتما ، وسيطيع الملك أمركما ،

وتكونان أنما الملكين ، لكما الأمر وعلى الطاعة .

الحارس الأول : إننا من الرعايا المخلصين للملك . الملك إدورد .

الملك هنرى : وستكونان فيما بعد مرة أخرى مخلصين لهنرى .

إذا ما جالس حيث يجلس الآن الملك إدورد

٩٥

الحارس الأول : نحن نطلب إليك باسم الله واسم الملك .

أن تذهب معنا إلى الضباط .

الملك هنرى : سيرا أمامي باسم الله . ولاسم مليككما الطاعة .

وأياً كانت مشيئة الله ، فلينفذها مليككم ،

وأياً كانت إرادته ، فأنا خاضع لها ومطيع .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

لندن - القصر

يدخل الملك إدورد ، ودوق جلوستر ، ودوق كلارنس ، والسيدة جراى
الملك إدورد : أخى دوق جلوستر . لقد قتل سير رتشارد
جراى
زوج هذه السيدة فى ميدان سانت أولبنز ،
وصادر المنتصر أملاكه .
وهى تطلب الآن أن ترد لها هذه الأملاك .
ولسنا نستطيع الآن أن ننكر عليها هذا الحق
إذا راعينا العدالة ،
لأن هذا السيد الجليل قد ضحى بحياته ،
وهو يحارب فى صف بيت يورك .
دوق جلوستر : من الخير أن تجيبها يا صاحب الجلالة إلى
طلبها ،
لأن من العار أن تنكر ذلك عليها .

١٠ الملك إدورد : لن يحدث أقل من هذا ، ولكنى سأثريث قليلا .

دوق جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) هل الأمر كذلك حقاً ؟
أرى أن لدى السيدة ما تستطيع منحه ،
قبل أن يجيب الملك ملتصقها البسيط .

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) إن الملك لعليم بأساليب الصيد ،

١٥ إنه ليعرف حق المعرفة من أين تهب الريح ؟
جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) صه !

الملك إدورد : أيتها الأرملة ، سنبحث شكواك ،
فتعالى فى هذا الوقت لتعرفى قرارنا فيها .

السيدة جراى : مولاي الكريم ، لا أطيق الانتظار ،
٢٠ فأرجو أن تتفضل جلالتكم فتقضى فى أمرى الآن ،

وأياً كان ما تراه ، فأنا راضية به .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) أجل أيتها الأرملة ،
إنى ضامن لك كل أملاكك .
وإذا كان ما يرضيه يرضيك .

فأحسنى القتال ، وإلا فإنك وايم الله سيجللك العار

٢٥ كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) لست أخشاه إلا إذا سقطت .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لا قدر الله لأنها إن فعلت اغتتم هو هذه الفرصة السانحة .

الملك إدورد : خبريني أيتها الأرملة ، كم عدد أبنائك ؟

٣٠ كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) أحسب أن سيسألها ولدًا .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لو كان ذلك لاستحقت الضرب ، بل إنه يريد أن يهبها اثنين .

السيدة جراى : لى منهم ثلاثة يا سيدى الكريم .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) سيكون لك أربعة إن أنت أطعت أمره .

٣٥ الملك إدورد : لو أنهم فقدوا أرض أبيهم لكان ذلك داعياً للأسف .

السيدة جراى : كن رحيماً بهم إذن ، وأجب سؤالي .

الملك إدورد : أرجو أن تتركونا أيها السادة .

فسأختبر ذكاء هذه السيدة .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لك هذا الإذن الطيب ،

وسیظل لك حتى یفارقك الشباب ویسلمك إلى عكازك

(ینسحب جلوستر وكلارنس)

الملك إدورد : والآن خبرینى یا سیدتى ، أتحیین أبناءك ؟

السيدة جرای : أنا أحبهم بقدر ما أحب نفسى .

الملك إدورد : ألا تفعلین الشئء الكثير فى سبیل خیرهم ؟

هـ السيدة جرای : إنى على استعداد لأن أتحمّل بعض الأذى فى سبیل مصلحتهم .

الملك إدورد : إذن فلتكن لك أملاك زوجك لیسعدوا بها .

السيدة جرای : من أجل هذا جئت إلى جلالتك .

الملك إدورد : سأخبرك كيف تتسعیدين هذه الأرض .

السيدة جرای : بذلك تجعلنى خادمة لك .

هـ الملك إدورد : وأیة خدمة تقدمینها لى إذا أعدتها لك ؟

السيدة جرای : ما تأمر به ، وأستطیع أدائه .

الملك إدورد : ولكنك قد ترفضین بعض ما أنا طالبه .

السيدة جرای : لا یا سیدى الکريم ، إلا إذا لم أستطع فعله .

الملك إدورد : بل إنك لتستطعین فعل ما أنا طالبه .

- ٥٥ السيدة جرای : إذن فسأفعل ما تأمر به ، يا مولای .
جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) إنه يشدد النكير عليها ،
وإن المطر الغزير ليذيب صلب الرخام
كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) إنه يحمل عليها كالنار الملتهبة .
وستذوب صلابتها أمامه كما يذوب الشمع .
٦٠ السيدة جرای : لم سكت يا مولای ؟ أليس لي أن أعرف ما يجب على أن أفعله ؟
الملك إدورد : واجب سهل ، لا يزيد على أن تحبي ملكًا .
السيدة جرای : ما أسرع ما أنفذ هذا الأمر ، لأني من رعاياه .
الملك إدورد : إذن فأنا أعيد لك من فوري أرض زوجك .
السيدة جرای : أستأذن في الانصراف ولك جزيل الشكر ،
جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) ها قد تمت الصفقة .
٦٥
الملك إدورد : ولكن مهلا ، إن الذي أعنيه هو ثمار هذا الحب
السيدة جرای : والذي أعنيه هو ثمار الحب يا مولای الرحيم .

الملك إدورد : ولكنني أخشى أن يكون بمعنى غير الذي أقصده .

فأى حب تظنين أنه هو الذي أجهد نفسي في طلبه ؟

٧٠ السيدة جراى : هو حبي إياك حتى الموت . وهو شكرى المتواضع ، ودعواتي لك . هو الحب الذي توحى الفضيلة بطلبه وتستطيع الفضيلة أن تستجيب إليه .

الملك إدورد : لا ، في الحق أني لم أكن أقصد هذا الحب . السيدة جراى : إذن لم تكن تقصد ما ظننت أنك تقصده .

الملك إدورد : لكنك الآن قد أدركت بعض ما في ضميري .

٧٥ السيدة جراى : إن ضميري لن يستجيب إلى ما أظن أن جلالتك ترمى إليه ، إن صبح ظني

الملك إدورد : أصارحك أني أريد أن أضاجعك .

السيدة جراى : وأصارحك أني أؤثر أن أضطجع في السجن .

الملك إدورد : إذن فلن ترد إليك أملاك زوجك .

السيدة جراى : إذن فسأستعيز عنها بشرفي ،

لأنني لن أبيع شرفي وأشتري به هذه الأملاك .

٨٠

الملك إدورد : وبهذا تسيئين إلى بنيك أكبر إساءة .

- السيدة جرای : وبهذا تسيء جلالتك إليهم وإلى .
ولكن هذه الرغبة الطائشة يا سيدى العظيم .
لا تتفق مع قضيتى المحزنة ،
فأذن لى بالانصراف إما بنعم أو بلا . ٨٥
- الملك إدورد : هى نعم ، إن أجبت عن طلبى بنعم ،
ولا ، إن رددت عليه بلا .
- السيدة جرای : إذن هى لا يا مولاي ، وهذا ختام ملتضى .
جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) إن الأرملة لا تحبه ،
فهى تقطب جبينها وتتجههم فى وجهه . ٩٠
- كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) ما رأيت فى العالم
المسيحى مغازلا أغلظ منه .
- الملك إدورد : (لنفسه) إن نظراتها لتتم عما يملأ قلبها من حياء
وإن ألفاظها لتدل على أن لها عقلا لا يبارى ،
وكل ما تتصف به من فضائل يفوق كل
ما يتصف به الملوك ،
ولا مفر لها من أن تكون للمليك ، ٩٥
- فإما أن تكون عشيقتى ، وإما أن تكون ملكتى .
ما قولك فى أن الملك إدورد يتخذك ملكة له ؟
السيدة جرای : ذلك يا مولاي الكريم شئء قوله خير من فعله .

أنا فرد من رعاياك يصلح لأن تهزأ به .
ولكننى لا أصلح أبداً أن أكون ملكة .

١٠٠

الملك إدورد : أيتها الأرملة الجميلة ، أقسم لك بملكى .
أنى لا أقول أكثر مما يتردد فى نفسى ،
وهو أنى أريد أن أنعم بحبك .

السيدة جراى : وهذا أكثر مما أستطيع الاستجابة له .

فأنا أعرف أنى أحقر من أن أكون ملكتك ،
ولكننى مع ذلك أشرف من أن أكون خليلتك .

١٠٥

الملك إدورد : إنك تحاورين أيتها الأرملة ؛ لقد قصدت
بحق أن تكونى ملكتى .

السيدة جراى : سيسىء إلى جلالتك أن يدعوك أبنائى أباً .

الملك إدورد : لن يسىء ذلك إلى أكثر مما سيسئلك حين
يدعوك بناتى أمماً ؛

إنك أرملة ولك بعض الأبناء .

وأقسم بالله أن لى ، وأنا الرجل العزب ،
أبناء آخرين ،

١١٠

وما أسعدنى أن أكون أباً لكثيرين من الأبناء .

فلا تردى على بعدئذ ، لأنك ستكونين ملكتى .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لقد فرغ الأب
الروحي من استغفاره .

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) لم يكن ، وهو يستغفر ، إلا
متحايلاً مخادعاً .

١١٥ الملك إدورد : أيها الأخوان ، لعلكما تحدثان ما دار بيننا
نحن الاثنين من حديث .

جلوستر : إن الأرملة لا يرضيها الأمر ، لأنها تبدو جد
حزينة

الملك إدورد : أظنكم تعجبون إذا اتخذتها زوجة .

كلارنس : لمن يا مولاي ؟

الملك إدورد : لم تعجب يا كلارنس ؟ زوجة لي .

١٢٠ جلوستر : ستكون هذه أعجوبه يتنادر بها الناس عشرة
أيام في القليل .

كلارنس : تلك فترة أطول بيوم مما تدوم الأعاجيب .

جلوستر : وبقدر هذا تكون غرابة الحادث .

الملك إدورد : فلنسخر يا أخوي ما شئتما ، ففي وسعي أن أخبركما
كليكما ،

أنني أحببتها إلى ما طلته من استعادة أرض زوجها
(يدخل أحد السلا)

النبيل : مولاي يا صاحب الجلالة ؟ لقد ألقى القبض

على عدوكم هنرى .

١٢٥

وجيء به سجيناً إلى باب قصركم .

الملك إدورد : مروا أن ينقل إلى البرج .

وهيا بنا يا أخوى نذهب إلى الرجل الذى أسره ،
لنسأله كيف تم القبض عليه .

وأنت أيتها الأرملة ، اذهبي فى سبيلك ،
وأكرموها أيها السادة .

١٣٠

(يخرجون جميعاً ما عدا جلوستر)

جلوستر : نعم إن إدورد يحسن معاملة النساء .

ألا ليتة يفنى ، بأعصابه وعظامه ، وكل
ما فيه ،

حتى لا يبقى له أمل فى أن يخرج من صلبه
فرع ،

يحول بينى وبين الفرصة الذهبية التى أتطلع
إليها !

لكن بينى وبين ما تشتهيه نفسى —

١٣٥

وهو اللقب الذى أبغيه إن مات إدورد —

كلارنس ، وهنرى ، وابنه الصغير إدورد ،

وكل من لا يزالون في دمه المستقبل من أبنائهم ،
يخلفونهم قبل أن أتربع أنا على العرش .

ذلك تفكير في أغراضى يقض مضجعى ويبعث
اليأس في نفسى !

١٤٠

وإذن فلست إلا حالمًا بالملك ،

مثلى كمثل الواقف على ربوة ناتئة في البحر ،
يبصر شاطئًا بعيداً لا يستطيع أن يطأه بقدميه ،
ويتمنى لو أن قدمه كانت فى قوة بصره .

ثم تراه يلوم البحر الذى يفصله عن المكان الذى
يبتغيه .

١٤٥

ويزعم أنه سيخفف ماءه كى يبلغ بذلك غايته .
وتلك هى حالى إذ أطمع فى التاج . وأنا بعيد
عنه كل البعد ،

فأكيل اللوم إلى الأسباب التى تحول بينه وبينى .
وأقول إننى سأقطع تلك الأسباب .

وأعلل النفس بأنى سأفعل المستحيل .

١٤٥

إن عيني انتطالع إلى أبعاد مما أستطيع .

وإن قلبى ليطمع طمع المتكبر المتغطرس .

إلا إذا كان فى مقدور يدي وقوتي أن نجاريهما

فى هذا التطلع وذلك الطموح .
 فلنفترض إذن أن ريتشارد خسر ملكه ،
 فأى نعيم غير هذا يمكن أن تجود على به الدنيا ؟
 سأجعل مستقرى فى أحضان سيدة .
 وأزين جسدى بأبهى الثياب .
 وأسبى الحسان بألفاظى ونظراتى .

١٥٥

ألا ما أسخف هذا الخيال ، وإن تحقيقه
 لأبعد منالا من عشرين من التيجان .
 لقد أصبحت طريد الحب وأنا جنين فى
 أحشاء أمى ،

١٦٠

ولكيلا يكون لى شأن بأساليبه الرقيقة ،
 عدا على طبيعتى الضعيفة فأفسدها ،
 فشل ذراعى كأنها غصن شجرة دابل ،
 ووضع على ظهرى شبه جبل شامخ ،
 فاستقر عليه التشويه ليجعل من جسمى
 أضحوكته ، وجعل ساقى مختلفتى الحجم ،
 حتى تكون كل أغصائى غير متناسبة ،
 فكنت كأنى كتلة من مادة غير ذات شكل .
 أو كأنى ديسم دب لم تلعه أمه لأنه لم يكن

١٦٥

١٧٠

ثمة شبه بينها وبينه (١) .
 فهل أكون بعد هذا إنساناً له حظ من الحب ؟
 ألا ما أشد خطئي إن دار بخلدي مثل هذا
 الظن !

وإذا كان العالم لم يهني ما أستمع به ،
 إلا أن آمر وأنهى ، وأخضع لنفسي من هم
 أحسن منظراً مني ،

١٧٥

فلأجعلن نعيمى أن أحلم بالتاج .
 وأن أنظر . ما دمت حيّاً ، إلى هذه الأرض
 كأنما هي الجحيم ،

حتى يستقر على هذا الجسد المشوه .
 الذى يحمل هذا الرأس ، تاج مجيد .

غير أنى لا أعرف بعد كيف أنال التاج .

١٨٠

لأن كثيراً من الأحياء يحولون بينى وبين ما أبغى ،
 وصرت كأنى إنسان ضل السبيل فى غابة مليئة
 بالشوك ،

لا عمل له إلا أن يقطع الأشواك وأن تقطعه
الأشواك .

ليبصر الطريق أمامه ، ولكنه يفضل الطريق ،
ولا يعرف كيف يصل إلى المكان الفسيح ،
ولكنه يظن يكدرج جاهداً كي يعثر عليه .

١٨٥

ذلك هو شأني أعذب نفسي كي أستحوذ على
التاج البريطاني .

فإما أن أخلص نفسي من العذاب من تلك
الاحظة ،

أو فلاشق طريقى بالسيف يقطر دمًا .

إن في مقدورى أن أبتسم ، وأن أقتل حين
أبتسم ،

١٩٠

وأقول إننى راض عما يجزع له قلبي .
وأبلل وجنتى بالدموع المصطنعة ،

وأغير ملامح وجهى بما يتفق مع كل الظروف
سوف أغرق من الملاحين أكثر ممن ستغرقهم
شواطئ البحار ،

وسأهلك ممن ينظرون إلى أكثر ممن يهلكهم

١٩٥

« الباسليق »^(١) .

سأكون خطيباً كنسطور ،
وأخدع بمكرى أكثر ممن يستطيع أن يخدعهم
أولسيز

وأفوز بطروادة أخرى ، كما فاز بهذه سينون ،
وأتلون أكثر مما تتلون الحرباء ،

وأبدل صورتي كما بدلها بروتوريوس لأحصل على
ما أريد ،

وأكون أنا المعلم ومكيفلى السفاح هو التلميذ .
أفأستطيع أن أفعل هذا كله ثم أعجز عن
الحصول على التاج ؟

تبّاً لى ! إن لم أقتلعه وإن كان أعز مما هو
منالا .

(١) حيوان خرافى يقال إنه يقتل من ينظر إليه (المترجم) .

الفصل الثالث

المنظر الثالث

فرنسا - قصر الملك

طبول : يدخل لويس ملك فرنسا وأخته بوذا ، وأمير بحريته المسمى بوربون ، والأمير إدورد والملكة مرجريت ، وإيرل أكسفورد . يجلس الملك لويس ثم ينهض قائماً .

الملك لويس : أى ملكة إنجلترا الحسنة ، يا مرجريت النبيلة ، اجلسى معنا ، فإنه لا يليق بمقامك العظيم ، ولا بمولدك ، أن تظلى واقفة بينما يجلس لويس .
الملكة مرجريت : لا يا ملك فرنسا العظيم ، إن على مرجريت الآن

أن تطوى شراعها ، وأن تتعلم فى هذه الأيام
أن تكون هى الخادمة .

حيث يأمر الملوك ، نعم إننى لا بد لى أن أعترف
أنى كنت ملكة إنجلترا العظيمة فى الأيام
الحجيدة السالفة ،

ولكن الحظ العاثر قد وطئ لقي هذا بقدميه

وألقى بي على الأرض ذليلة مهينة ،
ولا بد لي أن أجلس حيث يضعني حظي ،
وأن أرضي بمجلسي الحقير هذا .

١٠

الملك لويس : ماذا جرى أيتها الملكة الحسنة ، خبريني عن
منشأ هذا اليأس العميق .

الملكة مرجريت : إن منشأه أمر تفيض من أجله عيناى بالدموع ،
ويعقل لساني ، ويغرق صدرى في الهموم .

١٥ الملك لويس : مهما يكن هذا السبب ، فاحتفظي على الدوام
بمقامك ،

واتخذى مجلسك إلى جانبا (يجلسها بجانبه)
ولا تسلمي عنقك

لنير الحظ ، بل اجعلي عقلك الذى لا يقهر
يتغلب دائماً على كل المصائب ويخرج ظافراً
منها .

أفصحى عما بك أيتها الملكة مرجريت ،
وخبريني عن سبب حزنك ،

وسوف نخففه إن كان فى وسع ملك فرنسا
أن يمدك بالعون .

٢٠

الملكة مرجريت: إن هذه العبارات الكريمة لتنعش أفكارى
الحزينة ،

وتطلق لسانى الذى عقدته الأحزان ، فيقوى
على الكلام .

إذن ، فلتعلم الآن يا لويس النبيل .

أن هنرى ، الذى يملك وحده قلبى ،

قد أصبح رجلاً منفيًا وقد كان من قبل ملكًا ،

واضطرب أن يعيش فى أسكتلندة يائسًا وحيداً ،

على حين أن إدورد دوق يورك المتكبر الطموح ،

قد اغتصب لقب ملك إنجلترة الشرعى ،

وعرشه الذى ارتفع إليه بحق .

هذا هو السبب الذى جئت من أجله .

أنا مرجريت البائسة المسكينة

مع ولدى هذا الأمير إدورد ولى عهد هنرى ،

ألتمس منك المعونة المشروعة العادلة ،

فإن لم نظفر بها منك ضاعت آمالنا كلها .

ذلك أن أسكتلندة تريد أن تعيننا ، ولكنها

عاجزة عن ذلك العون

وأما شعبنا وأعيان بلادنا فقد خدعوا وضلوا ،

٢٥

٣٠

٣٥

- ونهبنا أموالنا، وولى جنودنا الأدبار .
ونحن كما ترانا فى حال يرثى لها .
- الملك لويس : أيتها الملكة ، يا ذات الشهرة العظيمة ،
هدئى هذه الثورة النفسية بالصبر ٤٠
حتى ندبر وسيلة للخروج منها ،
- الملكة مرجريت : كلما طال انتظارنا ، ازداد عدونا قوة .
الملك لويس : بل كلما تريت ازداد ما أقدمه لك من عون .
الملكة مرجريت : ولكن نفاد الصبر يصحبه الأسى الحق .
وها هو ذا مصدر أحزاني مقبل علينا . ٤٥
(يدخل وريك)
- الملك لويس : من ذا الذى يأتى بهذه المرأة إلى حضرتنا ؟
الملكة مرجريت : إنه إيرل وريك ، أعظم أصدقاء إدورد .
الملك، لويس : مرحباً بك يا وريك الشجاع ! ما الذى جاء بك
إلى فرنسا ؟
(ينزل عن مقعده وتقوم هى)
- الملكة مرجريت : وها هى ذى عاصفة ثانية توشك أن تثور ،
لأن هذا هو الذى يثير الرياح ويدفع الأمواج . ٥٠
وريك : إني قادم من عند إدورد العظيم ، ملك ألبينون ،
سيدى ومولاي ، وصديقك الحميم ،

تحدوني المودة الخالصة ، والحب الذي لا رياء
فيه ،

لأحيي أولاً شخصكم الملكي ،

ثم ألتبس بعدئذ معاهدة ود وصداقة ؛

٥٥

ولأؤكد أخيراً هذه الصداقة بعقدة رواج ،

إذا تفضلتم فسمحتم بزواج أختكم الحسنة ،
السيدة بونا الفاضلة زواجاً شرعياً من ملك
إنجلترا .

الملكة مارجريت : (لفسها) إن تم هذا الأمر فقد خاب رجاء
هنري .

٦٠ وريك : (إلى بونا) وأنت يا سيدتي العظيمة ، لقد

أمرت أن أنوب عن مليكننا

إن تفضلت فأذنت . بأن أقبل يدك في

خضوع ،

وأن أعبر بلساني عما يضطرم في قلب مولاي

من لواءج الشوق .

فقد ترامت إلى أذنيه الواعيتين أنباء حمالك

وفضلك .

فارتسمت في قلبه صورتك .

٦٥ الملكة مرجريت : أيها الملك لويس ، وأنت أيتها السيدة بونا ،
استمعا إلىّ

قبل أن تردا الجواب على وريك . إن طلبه هذا
ليس صادراً عن حب شريف يبغيه إدورد
بإخلاص ،

بل مبعثه الخديعة تحتمها الضرورة .

إذ كيف يستطيع الطغاة أن يحكموا في بلادهم
وهم آمنون ،

إلا إذا استعانوا على ذلك بأحلاف قوية
يبتاعونها من خارج بلادهم ؟

وحسبنا دليلاً على أنه طاغية ظالم أن هنرى
لا يزال حيّاً ،

وحتى لو أنه كان ميتاً . فهذا هو ذا الأمير
إدورد

واقف معنا ، وهو ابن الملك هنرى .

فاحذر إذن يا لويس أن تجر على نفسك
الخطر والعار ،

بهذا الحلف وذاك الزواج .

فالمغتصبون قد ينعمون بالسلطان إلى حين ،

ولكن الله عادل والأيام كفيلة بقمع المظالم .

: إنك تهينيننا بذلك يا مرجريت .

: ولم لا تقول يا ملكة ؟

وريك

الأمير

٨٠ وريك

: لأن أباك هنرى مغتصب ،

وليس حقلك في أن تلقب أميراً خيراً من حقها في أن

تلقب ملكة

أكسفورد

: إذن فوريك ينكر حق جون جونت العظيم ،

الذى أخضع الجزء الأكبر من إسبانيا ،

ثم ينكر بعد جون جونت ، هنرى الرابع ،

الذى كانت حكمته ضوءاً يهتدى به أحكام

٨٥

الناس

وينكر بعد ذلك هنرى الخامس ، ذلك الأمير

الحكيم ،

الذى فتح ببسالته بلاد فرنسا كلها .

من هؤلاء ينحدر نسب هنرى .

: كيف فاتك في هذا الحديث اللين .

وريك

٩٠

أن تذكر أن هنرى السادس قد أضاع كل

ما كسبه هنرى الخامس ؟

وأحسب أن نبلاء فرنسا هؤلاء سيبتسمون حين

يسمعون قولك هذا .

أما ما بقى من حديثك ، فإنك قد ذكرت فيه

٩٠

سلسلة من النسب ،

تمتد إلى اثنتين وستين سنة ، وهى فترة من الزمان

أصغر من أن تثبت حقاً فى ملك .

: أتستطيع يا وريك أن تغتاب مليكك .

٩٥ أكسفورد

الذى دنت له بالطاعة ستة وثلاثين عاماً ،

ثم لا يعلوك الحجل حين تكشف عن غدرك ؟

: أيستطيع أكسفورد . وقد كان على الدوام

وريك

نصييراً للحق ،

أن يظاهر الباطل بسلسلة من النسب ؟

يا للعار ! دعك من هنرى . وناد بإدورد ملكاً .

١٠٠

: أأنادى به ملكاً ، وهو الذى كان أمره الظالم

أكسفورد

سبباً فى مقتل أخى الأكبر لورد إيراي قير

وأكثر من هذا أليس هو الذى أمر بقتل أبى ،

وهو شيخ طاعن فى السن يساق بطبيعته إلى

أبواب الموت ؟

لا يا وريك : لا . مادام فى نسمة من الحياة

أرفع بها ذراعى هذه .

فإن هذه الذراع ستنصر بيت لانكستر .

وريك : أما أنا فسأنصر بيت يورك .

١٠٥ الملك لويس : أيتها الملكة مرجريت وأنتما يا أمير إدورد .

ويا إيرل أكسفورد

تفضلوا ! أرجوكم أن تتفضلوا بالتنحى جانباً

حتى أتحدث إلى وريك .

(يبتعدون فى ناحية)

١١٠ الملكة مرجريت : أسأل الله ألا يفتتن بسحر كلمات وريك .

الملك لويس : أستحلفك يا وريك بدمتك وضميرك . هل إدورد

مليكم بحق ؟

لأنى لا أحب أن أرتبط بمن لم يصل إلى الملك

بالطريق المشروع ؟

وريك : إنى أصمن ذلك بسمعى وشرفى .

الملك لويس : ولكن هل يرتضيه الشعب ؟

١١٥ وريك : إن حظ هنرى العاشر ليزيد فى رضاء الشعب عنه .

الملك لويس : وبعد هذا ، أدعوك أن تخلع ثوب الرياء ،

وتخبرنى صادقاً عن مبلغ حبه لأختنا بونا .

وريك : إن حبه إياها ليبدو بالقدر الذى يليق بمليك

مثله أن يحب ،

فكثيراً ما سمعته أنا نفسى يقول ويقسم ،
 إن حبه إياها كشجرة باقية إلى أبد الدهر ،
 أصلها ثابت في أرض ترويضها الفضيلة ،
 وفروعها وثمرها يزدهران في شمس الجمال ،
 لا يمكن أن يتسرب إلى حبه كره لبونا ،
 ولكنه لا ينجو من ازدراء الناس ،
 إلا إذا ارتضته فأبعدت عنه الآلام .

١٢٠

١٢٥

الملك لويس : والآن يا أختى فلنسمع منك ما استقر عليه رأيك .

بونا : رأيى هو رأيك ، سواء أجبت أو رفضت .
 (إلى وريك) على أننى أعترف بأننى كنت
 قبل اليوم ،
 إذا سمعت محاسن مليكك يتردد ذكرها على
 الألسنة ،

تغرينى أذنائى بأن أجعل عقلى أسير هواى .
 الملك لويس : إذن يا وريك فهذه إقرارى : ستكون أختنا
 زوجاً لإدورد .

١٣٠

وهيا بنا لساعتنا نعد الشروط .

الخاصة بالمهر الذى يجب أن يقدمه ملككم فى مقابل بائنتها .

ادنى منى ، أيتها الملكة مرجريت ، وكوفى شهادة ،

على أن بونا ستكون زوجة لملك إنجلترا .

١٣٥

الأمير : لإدورد ، لا لملك إنجلترا .

الملكة مرجريت : ويلك يا وريك ! أيتها المخادع ، لقد استطعت بحيلتك

أن تحبب بهذا الرباط ملتضى .

فلقد كان لويس ، قبل قدومك ، صديقاً لهبرى .

١٤٠ الملك لويس : وما زال صديقاً له ولرجريت :

غير أنه إذا كان حقكما فى التاج ضعيفاً .

كما يتبين لنا من نجاح إدورد الباهر ،

فإن من الحكمة أن أعفى من تقديم العون

الذى وعدت به من زمن قريب .

ومع هذا فستلقين منى كل الرعاية .

١٤٥

التي تلىق بمنزلتك ، ويمكننى مركزى من تقديمها لك .

وريك

: إن هنرى يعيش الآن فى أسكتلنده وادعنا ،
لا يمكن أن يفقد شيئاً ، لأنه لا يملك قط
شيئاً .

أما أنت يا مليكتنا السابقة .

فإن لك أبناً يستطيع أن يكفلك .

وكان خيراً لك أن تذهبي إليه فتضايقيه ،

١٥٠

بدل أن تضايقي ملك فرنسا .

الملكة مرجريت : أمسك لسانك يا وريك ، أيها الوقح عديم الحياء .

أمسك لسانك أيها المتعطرس .

يا من ترفع الملوك وتثل عروشهم !

١٥٥

لن أبرح هذا المكان حتى أظهر للملك لويس

بجدتي ودموعي ، وكلاهما صادق أعظم

الصدق ،

زيقت الماكر ، وحب مولاك الكاذب .

فكلاكما فى هذا وذاك سواء .

(رسول ينفخ فى بوق فى الداخل)

١٦٠ الملك لويس : هذا رسول يريدك أو يريدنا

(يدخل الرسول)

الرسول : سيدى السفير ، هذه الرسائل لك ،

بعثها أخوك ، المركيز منتجيو :
 وهذه من مليكننا لك يا صاحب الجلالة ،
 وتلك يا سيدتى لك ، واست أعرف مرسلها .
 (يقرهون رسائلهم)

١٦٥ أكسفورد : يسرنى كل السرور أن أرى ملكتنا الحسنة
 وسيدتنا

تبتسم حين تقرأ أخبارها ، بينما يتجههم وريك
 حين يقرأ رسائله .

الأمير : وانظروا ، كيف يضرب لويس الأرض بقدميه
 كأنه مغيظ محنق
 وإنى لأرجو أن يكون فى ذلك الخير لنا .

الملك لويس : ما أخبارك يا وريك ؟ وما أخبارك أيتها الملكة
 الحسنة ؟

١٧٠ الملكة مرجريت : أما أخبارى فمن النوع الذى يملأ قلبى سروراً
 لم أكن أتوقعه .

وريك : وأما أخبارى فليئة بالأحزان ، ونفعم القلب سخطاً .

الملك لويس : ماذا فيها ؟ هل تزوج ملىكم السيدة جراى ؟
 ويريد الآن أن يعمل بما يتفق مع خداعك
 وخداعه ،

فبيعث لى بهذه الورقة يحثنى فيها على الانتظار ؟
أهذا هو الحلف الذى يسعى لعقده مع ملك
فرنسا ؟

١٧٥

أتبلغ به القحة أن يستهزئ بنا بهذه الطريقة ؟

الملكة مرجريت : لقد قلت لحلالتك هذا كله من قبل ؛
وإن فى هذا لدليلا على حب إدورد وشرف وريك .
وريك : أيها الملك لويس ، إني أعلن هنا ، والله شهيد
على ما أقول ،

١٨٠

وبحق ما لى من أمل فى رحمة الله ،
أننى برىء من هذه الفعلة الشنعاء التى فعلها
إدورد ،
وأنه لن يكون لى ملكا بعد اليوم ، لأنه أخزاني
وأضاع رفى ،
ولكنه ينضح بما فيه . إن استطاع أن يرى
ما فى عمله من حقارة .
وهل أنسى أن أبى قد لاقى منيته ، ولما يحن أجله
فى سبيل بيت يورك ؟

١٨٥

وهل أستطيع أن أغفل عما لقيته ابنة أخى
من سوء على أيديهم ؟

ألست أنا الذى وضعت على مفرقه التاج الملكى ؟
 ألست أنا الذى انتزعت من هنرى حقه الشرعى ؟
 وهل يكون جزائى أن ألطخ آخر الأمر بالعار ؟
 كلا ، فليسربله هو العار ! أما أنا فإنى خليق
 بالشرف .

١٩٠

وهأنذا أسترد الشرف الذى أضعته فى سبيله ،
 فأخرج عليه فى هذا المكان ، وأعود إلى صف
 هنرى ،

أى مليكتى النبيلة ، تناسى أحقاد الماضى ،
 واعلمى أننى منذ اليوم خادملك الأمين ،
 وسأثأر منه لما ارتكبه فى حق السيدة بونا ،
 وأرد هنرى إلى مكانته الأولى ،

١٩٥

الملكة مرجريت : لقد بدلت هذه الألفاظ بغضى لك حباً ،

وإنى لأعفو عن أخطائك السابقة وأنساها ،

وأغتبط أن تصبح من أصدقاء الملك هنرى .

٢٠٠ وريك : نعم من أحب أصدقائه ، صديق له فى غير رياء ،

فاذا تفضل الملك لويس فأمدنا بكتائب قليلة

من صفوة الجنود ،

فسأقوم أنا بإنزالهم على شاطئ بلادنا ،

وأشنها حرباً أنزل بها هذا الطاغية عن عرشه ،
 ولن تنجيه عروسه الجديدة من مصيره .
 وأما كلارنس فأكبر الظن أنه سيخرج عليه ،
 كما تدل على ذلك رسائله ،
 لأنه آثر الشهوات الدنيئة على الشرف ،
 وعلى قوة البلاد وسلامتها ،

٢٠٥

بونا : أيها الأخ العزيز ، كيف تنتقم لبونا
 إلا بتقديم العون إلى هذه الملكة المحزونة ؟
 الملكة مرجريت : أيها الأمير العظيم ، كيف يعيش هنري المسكين
 دون أن تنقذه من يأسه الأليم ؟

٢١٠

بونا : إن معركتي ومعركة هذه الملكة الإنجليزية
 واحدة .

وريك : وإن معركتي يا سيادة بونا الحسنة هي أيضاً
 معركتك .

٢١٥ الملك لويس : ومعركتي ، معركتها ، ومعركتك ، ومعركة
 الملكة مرجريت .

ومن أجل هذا فقد صبح عزى آخر الأمر
 على أن أقدم لكم العون .
 الملكة مرجريت : اسمح لي بأن أقدم لكم جميعاً شكراً المتواضع .

الملك لويس : إذن فعد يا رسول إنجلترا مسرعاً ،
 وبلغ إدورد الخثون ، مليكك المزعوم ،
 أن لويس ملك فرنسا مرسل له جماعة من
 المهرجين^(١)

ليعبثوا معه ومع عروسه الجديدة .
 ولقد رأيت ما حدث ، فعد واقدف الرعب به
 في قلب مليكك .

بوننا : بلغه رجائي أني في انتظار ترملة عن قريب ،
 وأناي سأرتدى من أجله ملابس الحداد .
 الملكة مرجريت : وقل له إنني خلعت ملابس الحداد .
 وإني أستعد لأن أرتدى دروع القتال .
 وريك : وقل له عني إنه قد أساء إلىّ .

ولذلك فإنني عما قريب سأنزع التاج عن رأسه ،
 ذلك ما سوف أجزيه به : اذهب .
 الملك لويس : وأنت يا وريك ، اعبر أنت وأكسفورد البحار ،
 ومعكما خمسة آلاف من الرجال .
 وادعوا إدورد الخائن إلى القتال .

(١) يقول لويس هذه العبارة بسخرية ويقصد بها أنه سيرسل له جنداً ليحاربوه .

وستتبعكما هذه الملكة النبيلة ،

إذا ما حانت الفرصة ، بمدد جديد .

٢٣٥

ولكنى أطلب إليك قبل أن تغادر هذه البلاد ،
أن تفصح لى عن أمر يثير فى نفسى بعض
الشكوك ،

أى شىء يضمن لنا صدق ولائك الأكيد ؟

٢٤٠ وريك : إن الذى يؤكد ولائى الدائم ،

هو أن أربط ابنتى الكبرى وقرة عينى

وهذا الأمير الشاب ، برباط الزواج المقدس ،
إذا ارتضت ذلك مليكتنا وارتضاه الأمير .

الملكة مرجريت : نعم أرتضيه ، وأشكر لك اقتراحك هذا .

اعلم يا ولدى إدورد ، أنها جميلة عفيفة ،

٢٤٥

فعجل إذن ، ومد يدك إلى وريك ،

وقدم مع يدك عهدك الذى لا يتزعزع ،

بألا تكون لك زوجة غير ابنة وريك .

الأمير : نعم إنى أرتضيها زوجة لى ، فهى خليقة بهذا

القران .

وها هى ذى يدى أوثق بها قسمى .

٢٥٠

(يضع يده فى يد وريك)

لويس : فيم التريث الآن ؟ يجب أن نعي أولئك الجنود ،
وعليك أنت يا سيد بوروبون ، يا أمير بحريتنا
العظيم ،

أن تنقلهم على ظهر أسطولنا الملكي .
وإني لأتوق لرؤية إدورد يسقط ،
بعد أن يبوء بالخسران في ميدان القتال .
(يخرجون جميعاً ما عدا وريك)

: لقد جئت إلى هنا سفيراً لإدورد ،
ولكني أعود وأنا له من ألد الخصوم ،
لقد كان أمر الزواج مطلبه الذي عهد إلى به ،
ولكن الحرب العوان ستكون الجواب على
ما طلب .

ألم يجد غيرى ليتخذه سخرية له ؟
إذن فلن يجد إنساناً غيرى يجعل سخريته نكالا
عليه .

لقد كنت الزعيم الذي رفعه إلى العرش ،
وسأكون الزعيم الذي ينزله عنه .
وليس ذلك لأنى أرثى لبؤس هنرى .
بل لأنى أسعى لأثار لنفسى من سخرية إدورد .

الفصل الرابع

المنظر الأول

لندن - القصر

يدخل جلوسر ، وكلارنس ، وسمرست ، ومنتجيو .

جلوسر : قل لى يا أخى كلارنس . ماذا ترى

فى هذا الزواج الحديد من السيدة جراى ،

ألم يحسن أخونا الاختيار ؟

كلارنس : وأسفاه ! إنك لتعرف ما بيننا وبين فرنسا ،

وهل كان يستطيع الانتظار حتى يعود وريك ؟

سمرست : أيها السادة ، دعكم من هذا الحديث ،

فالملك مقبل عليكم .

جلوسر : ومعه عروسه التى أحسن اختيارها .

كلارنس : إن فى نيتى أن أصارحه برأى .

(طبول : يدخل الملك إدورد تحف به حاشيته ، والسيدة جراى

فى زى الملكة وبمبروك واستفورد ، وهيستنجس ، وغيرهم)

الملك إدورد : والآن يا أخى كلارنس . ما رأيك فى اختيارنا

هذا ؟

وما لى أراك واجمماً كأنك غير راض كل الرضا
عنه ؟

١٠

كلارنس : مثلى كمثلى لويس ملك فرنسا أو إيرل وريك ،
اللذين سيمنعهما جبينهما وضعف عزيمتهما
من أن يغضبا لهذه الإهانة .

الملك إدورد : وهب أنهما غضبا دون أن يكون ثمة سبب يبرر
هذا الغضب ،

فليساهما أكثر من لويس ومن وريك
أما أنا فإدورد مليككم .

١٥

وملك وريك ، وسيكون لى ما أريد .

جلوستر : وسيكون لك حتماً ما تريد ، لأنك مليكنا ،
ولكن التسرع فى الزواج قلما يعقبه الخير .

٢٠ الملك إدورد : وأنت يا أخى رتشارد : أنت أيضاً ساخط ؟

جلوستر : لا ، لست ساخطاً ، وحاشا أن أتمنى الفرقة
بين من جمع الله بينهما ، والحق أن التفرقة بين
من يعيشان مثلكما فى وثام

لتكونن إذا حدثت أمراً يؤسف له .

الملك إدورد : فإذا ما غضضنا النظر عن سخريتك وكراهيتك .

٢٥ فقل هل لديك من سبب يحول بين السيدة جراى

وبين أن تكون زوجاً لى وملكة على إنجلترا ؟

وأنت يا سمرست ، وأنت يا منتجيو ،

أفصحا عن رأيكما بكامل حريتكما .

كلارنس : ما دام الأمر كذلك فها هو ذا رأيى :

٣٠ إن الملك لويس سيصبح عدواً لك

لأنك سخرت منه

فى أمر زواجك من السيدة بونا

جلوستر : ووريك وهو يؤدى المهمة التى عهدت إليه ،

لقد جللته العار بهذا الزواج الجديد .

الملك إدورد : وماذا ترون إذا استرضيت لويس ووريك

٣٥ بما أستطيع أن أدبره من حيل ؟

منتجيو : ولكن الارتباط مع فرنسا بهذا الحلف .

كان كفيلاً بأن يقوى دولتنا .

ويجعلها أقدر مما هى على مغالبة العواصف

الأجنبية ،

أكثر مما يقويها زواج من إحدى الأسر

الإنجليزية .

٤٠ هيستنجس : ما هذا ؟ ألا يعرف منتجيو أن إنجلترا نفسها

آمنة ، إذا أخلص لها بنوها .

منتجيو : ولكنها تكون أكثر أمنًا إذا ظهرتها فرنسا .
هيستنجس : خير لنا أن نستفيد من فرنسا أكثر من أن
نثق بها ،

فلنستمد العون من الله ومن البحار ،
التي جعلها لنا حصنًا لا يرام . ٤٥
ولنستعن بهذه البحار دون غيرها على الدفاع
عن أنفسنا ،
فإن فيها وفي أنفسنا سلامتنا .

كلارنس : إن هذه العبارة وحدها تكفي لأن تجعل لورد
هيستنجس
خاليقًا بأن يكون وارث لورد هنجر فورد .
٥٥ الملك إدورد : نعم ، وماذا ترون ؟ لقد كنت أنتوى أن أمنحه
هذا اللقب .

فلتكن إرادتي في هذه المرة هي القانون .
جلوستر : ولكنني أظن أن جلالتك لم تحسن صنعًا .
حين زوجت ابنة لورد إسكيلز ووريثته ،
بأنخي عروستكم المحبوبة
فلقد كنت أنا أو كلارنس أجدر بها منه ،
ولكنك في سبيل عروسك تنكر الأخوة . ٥٥

كلارنس : ولولا ذلك لما أنعمت بوريثة لورد بنثيل
على ابن زوجتك الجديدة ،
وتركت أخويك يطلبان لهما زوجين فى أمكنة
أخرى .
الملك إدورد : وا أسفاه ! أى كلارنس المسكين ! أمن أجل
الزوجة

أنت غاضب ؟ سأجد لك طلبتك .
٦٠ كلارنس : لقد أظهرت حكمتك فى اختيار زوجتك ،
وما دمت قد أثبت بذلك ضعف هذه الحكمة .
فإنى أستأذنك فى أن أسعى أنا لنفسى .
ومن أجل هذا فقد اعتزمت عما قليل أن أفارقك .
الملك إدورد : سيكون إدورد ملكاً سواء رحلت أو أقمت .
ولن يكون مقيداً بإرادة أخيه .

٦٥ الملكة إليزبث : سادى ، لا بد لكم أن تنصفونى ، وأن تقرروا
بأنى قبل أن يتفضل جلالة الملك فيرفع منزلتى
إلى مقام الملكية لم أكن من أصل وضيع .
٧٠ ولقد نال مثل هذا الحظ من كان أقل منى
مكانة ،
وإذا كان هذا اللقب يشرفنى ويشرف أهلى ،

فإن كراهيتهكم ، التي أساءكم فيها ،
تعكر صفو مسرائي بما تغشيها به من خطر
وحزن .

الملك إدورد : حبيبتي . لا تتذالي لهم حين يعبسون :
فأى خطر أو أى حزن يمكن أن يصيبك ،
ما دام إدورد صديقك الوفي ،
ومولاك الحق . الذى يجب عليهم أن يطيعوه ،
أجل الذى لا بد لهم أن يطيعوه . وأن يحبوك
أيضاً .

إلا إذا كانوا يسعون بأنفسهم لكراهيته .
فإن فعلوا . فسأدفع أذاهم عنك وأحميك .
وسيشعرون هم بوطأة انتقامى وغضبي .

جلوستر : إني سامع ، ولن أقول إلا القليل .
ولكنى سأفعل الشيء الكثير .
(يدخل رسول)

الملك إدورد : ماذا عندك أيها الرسول من رسائل أو من أخبار
جئت بها من فرنسا .
الرسول : مولاي الملك . ليس معى رسائل ، وما معى من
الكلمات قليل .

ولكنها كلمات لا أجرؤ على النطق بها
إلا إذا نلت منكم الأمان .

٨٥

الملك إدورد : هاتها ولك منا الأمان ، وعليك أن تحدثنا في
إيجاز
عما قالوه لك ، أقرب ما تستطيع أن تتذكره من
عباراتهم .

بماذا أجاب الملك لويس عن رسائله ؟

٩٠ الرسول : تلك هي الكلمات التي قالها لي ساعة رحيلي :

« عد وبلغ إدوارد الخثون مليكك المزعوم ،
أن لويس ملك فرنسا مرسل له جماعة من
المهرجين

ليعبثوا معه ومع عروسه الجديدة » .

الملك إدورد : وهل يبلغ لويس هذا الحد من الجرأة ؟ لعله
يظنني هنري .

ولكن ماذا قالت السيدة بونا عن زواجي ؟

١٠٠

الرسول : ها هي ذى ألفاظها بنصها ، نطقت بها بقليل
من الازدراء :

« قل له إنني في انتظار ترملة عن قريب ،

وإنني سأرتدى من أجله ملابس الحداد » .

الملك إدورد : لست ألومها ، فلم يكن في وسعها أن تقول أقل من هذا ،

فهي التي أصابها الضرر . ولكن ماذا قالت ملكة هنري ؟ ١٠٥

فقد سمعت أنها كانت هي نفسها هناك .

الرسول : لقد قالت : « قل له عني إني خلعت ملابس الحداد .

وإني أستعد لأن ارتدى دروع القتال » .

الملك إدورد : أظنها تعتزم أن تلعب دور الأمزونات (١) :

ولكن ماذا قال وريك في هذه الإهانات ؟ ١١٠

الرسول : لقد كان غضبه من جلالتكم أشد من غضب سائر الحاصرين

وقد صرفني بهذه الألفاظ :

« قل له عني إنه قد أساء إلى ،

ولذلك فإني عما قريب سأنزع التاج عن رأسه » .

١١٥ الملك إدورد : ها ! وهل يجرؤ الخائن على التفوه بهذه الألفاظ المتغطسة ؟

(١) الأمزونات في الأساطير اليونانية جيل من النساء المحاربات (المترجم) .

إذن . فلأستعدن بالسلاح . بعد أن جاءتنى
النذر :

فلأقذفنهم بالحروب . وسيجزون على غطرستهم
شر الجزاء

ولكن لى نى : هل تصالح وريك مع مرجريت ؟

الرسول : نعم . يا مولاي الكريم . لقد توثقت الصداقة
حتى إن الأمير إدورد الشاب سيتزوج ابنة وريك . ١٢٠

كلارنس : لعلها الكبرى ، فسيتزوج كلارنس بالصغرى
وداعاً الآن يا أخى الملك ، اثبت على عرشك ،
وأنا ذاهب من هنا إلى ابنة وريك الأخرى .

فاينى . وإن لم يكن لى ملك ، سأبرهن على أننى
لست أقل منك .

فاتبعونى يا من تحبوننى وتحبون وريك . ١٢٥

(يخرج كلارنس ومن ورائه سمرست) .

جلوستر : (لنفسه) أما أنا فلا ، لأن أفكارى نحوم

حول مسألة أخرى .

فأنا باق هنا ، لا حباً فى إدورد ، بل حباً فى

التاج .

الملك إدورد : لقد انضم كلارنس وسمرست كلاهما إلى وريك ،

ولكننى مسلح ومتأهب للملاقاة أسوأ ما يكون .
 غير أن البدار واجب فى هذه الأزمة الخطيرة .
 اذهب يا ممبروك ويا ستفورد بالنيابة عنا
 فاحشدا بالحد ، وأعدا العدة للقتال .
 فسينزلون عما قليل بشواطئنا إن لم يكونوا قد
 نزلوا بها فعلا ،
 وسأتبعكم أنا نفسى على الفور .

١٣٠

(يخرج ممبروك وستفورد)

ولكننى أطلب إليكما يا هيستنجنس ، ويا ممبروك
 أن تطمئناني عن بعض ما أرتاب فيه ، فأنتما
 دون غيركما ،

١٣٥

ترتبطان مع يورك برباط القرابة والمصاهرة :
 فقولوا لى هل تحبان وريك أكثر مما تحبانى ؟
 فإن كان الأمر كذلك ، فاذهبا كلاكما إليه ،
 فليخير لى أن تكونا عدوين من أن تكونا
 صديقين مرائيين .

١٤٠

أما إن كنتما تريدان أن تظلا على ولائكما
 الصادق لى ،

فأكدا لى هذا بيمين المحبة ،

حتى لا تداخلى فى ولائكما ريبة .

منتجيو : فليكن الله فى عون منتجيو بقدر ما يثبتته من

إخلاص !

١٤٥ هيستنجس : وليكن فى عون هيستنجس بقدر ما ينتصر

لقضية إدورد

الملك إدورد : والآن . يا أخى رتشارد هل تقف إلى جانبنا ؟

رتشارد : أجل ، وبالرغم مما لا بد أن يواجهك من

صعاب .

الملك إدورد : إذا كان هذا فأنا إذن واثق من النصر .

فهللما بنا إذن ، ولا تضيعوا شيئاً من الوقت

حتى نلاقى وريك وجيشه الأجنبى .

١٥٠

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

سهل فى وركشير

يدخل وريك وأكسفورد ومعهما جنود فرنسيون

وريك : ثق يا مولاي أن الأمور كلها تسير على أذلالها ،
وأن الشعب يهرع إلينا زرافات ووحدا .
(يدخل كلارنس وسمرست)

ولكن انظر ، ها هو ذا كلارنس ، وها هو ذا
سمرست مقبلان !
تكلمنا أيها السيدان من فوركما ، هل نحن
كلنا أصدقاء ؟

كلارنس ه : لا تشك فى هذا يا سيدى ، ولا تخشنا .

وريك : إذن فمرحباً يا كلارنس النبيل عند وريك
ومرحباً بك يا سمرست ، لكننى أرى أن من
الجبين

أن أظل مرتاباً فى رجل ذى قلب نبيل ،
يمد يداً صادقة دليلاً على الحب الأكيد .

لقد كان يراودنى الشك فى أن كلارنس ، أخا
إدورد ،

١٠

لم يكن إلا صديقاً مداحياً ، يتظاهر بالموافقة
على ما نفعل .

أما الآن فمرحباً بك يا عزيزى كلارنس ،

وستكون ابنتى روجة لك .

والآن لم يبق إلا أن نفاجئ أخاك ونتخذ أسيراً
على مهلنا ،

مستترين بستار الليل ، وأخوك معسكر فى غير
حذر .

١٥

وجنوده متفرقون فى البلدة ،

وليس معه إلا حرس قليل .

ولقد وجد عيوزنا أن الأمر جد يسير :

فكما أن أولسيز وديوميدي الباسل ،

قد تسللا بالخيالة والشجاعة إلى خيام ريسوس .

٢٠

واستوليا منها على جياد تراقية المرعبة القاتلة^(١) .

(١) وردت قصة جياد نرافية فى الكتاب العاشر من إلياذة هوميروس . وخلاصتها أن
المتنبئة فى مهبط الرعى كانت قد أعلنت أن طروادة لن تسقط فى أيدي البويان إذا استطاعت
جياد ريسوس أن تشرب من مهر إكسانتوس وترعى فى سهول طروادة . ولهذا أرسل البويان
ديوميدي وأولسيز (الرجولة والدهاء) ليفطعا الطريق على أمير تراقية وهو آت بالعون إلى برهام
ملك طروادة . فقتلاه لبلبة وصوله واستولوا على الجياد (المترجم) .

فليكن هذا شأننا نحن . سوف نتخذ من سواد الليل دريئة لنا .

ونفاجئ حرس إدورد ونكيل له الضربات ،

ثم نقبض عليه ، ولا أقول نقتله .

لأنى لا أريد إلا أن آخذه على حين غفلة منه ،

٢٥

وأنتم يا من تعتزمون السير معى فى هذه المغامرة ،

اهتفوا باسم هنرى مع قائدكم !

(يهتفون جميعاً قائلين « هنرى » !)

إذن فالتخذ سبيلنا ملتزمين الصمت .

وليكن الله والقديس جورج فى عون وريك

٣٠

وأصدقائه !

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

معسكر إدورد بالقرب من وريك
يدخل ثلاثة من الحراس يحرسون خيمة الملك

الحارس الأول : هلمّ ، يا سادة ، وليتخذ كل منا مكانه !
فالملك الآن قد جلس (١) لينام .

الحارس الثانى : ماذا تقول ! ألن ينام فى الفراش ؟
الحارس الأول : كلا ، فلقد أقسم أغلظ الأيمان ،
ألا يرقد ويستريح الراحة الطبيعية .

حتى يُقضى على وريك أو عليه قضاء لا مرد له .

الحارس الثانى : أكبر الظن إذن أن موعدنا غداً ،
إذا كان وريك قريباً منا بالقدر الذى يتناقله
الجنود .

الحارس الثالث : ولكنى أرجوك أن تخبرنى ، من هذا النبيل
الذى يقيم هنا مع الملك فى خيمته ؟

١٠

(١) كلمة جلس هنا مقصودة بالذات ، كما يدل على ذلك السياق (المترجم) .

الحارس الأول : إنه لورد هيستنجس ، أصدق أصدقاء الملك .

الحارس الثالث : آه ، أحق هذا ؟ ولكن لماذا يأمر الملك ،

بأن ينام أعظم أنصاره فى البلدان المحيطة به ،

فى حين يظل هو فى ساحة القتال معرضاً للبرد ؟

١٥ الحارس الثانى : إن هذا أدعى إلى الشرف ، لأن هذا المكان

أشد خطراً عليه !

الحارس الثالث : ولكن أنلنى أنا الراحة والمكانة العليا والهدوء ،

فذلك أحب إلى من الشرف مع التعرض للخطر ،

ولو أن وريك قد علم بحال الملك هذه ،

لحسينا أن يصل إليه فيوقظه .

٢٠ الحارس الأول : وهو لا شك فاعل إلا إذا سدت عليه حرابنا

الطريق .

الحارس الثانى : نعم ، ولأى شىء إذن نحرس خيمته الملكية ،

إلا لكى ندفع عن شخصه أى عدو يأتبه

بالليل ؟

(يدخل وريك ، وكلاونس ، واكسفورد ، وسمرست ، ومعهم

جنود) .

وريك : هذه خيمته ، وهما هم أولاء حراسه واقفون .

الشجاعة يا سادة ! فالمجد الآن وإلا فلا مجد أبداً !

فما عليكم إلا أن تتبعوني . فيقع إدورد في أيدينا .

٢٥

الحارس الأول : من هناك ؟

الحارس الثاني : مكانك ، وإلا مت .

(وريك ومن معه ينادون جميعاً : « وريك ، وريك ! »
ويجمعون على الحراس ،

فيفر هؤلاء وهم يصيحون : « إلى السلاح ! إلى السلاح ! »
ويتعقبهم وريك ومن معه)

(يدق طبل ، وينفخ في النفير ، ويعود وريك ، وسمرست ،
وبقية رجالهما ، ويخرجون بالملك في ثياب النوم وهو جالس
على كرسيه . ويفر جلوستر ، وهيستنجنس فوق المسرح)

سمرست : من هذان اللذان يفران عن بعد .

وريك : هما رتشارد وهيستنجنس ، دعوهما يذهبا .

ها هو ذا الدوق . ٣٠

الملك إدورد : الدوق ! كيف هذا يا وريك ، لقد دعوتني حين
افترقنا ملكاً !

وريك : نعم ، ولكن الموقف قد تبدل :

فلما أن أخزيتني في سفارتي .

نزلت عن مكانة الملك .

وجئت الآن لأجعلك دوق يورك .

٣٥

يا أسفا ! كيف تستطيع أن تسوس ملكاً ،

إذا لم تكن تعرف كيف تعامل السفراء .
أو كيف تقنع بـزوجة واحدة .
أو كيف تعامل إخوتك كما يجب أن يعامل
الإخوة ،

٤٠

أو كيف تعنى بمصالح الشعب .
أو كيف تقي نفسك من الأعداء ؟
الملك إدورد : أى أخى إيرل كلارنس ، أنت هنا أيضاً ؟
إذن ، أرى أن إدورد لا بد له أن يسقط .
ولكن اعلم يا وريك أن إدورد سيحتفظ على
الدوام بكرامة الملوك ،

٤٥

رغم ما يحل به من النكبات .
وعلى الرغم منك ومن كل من اشتركوا معك فى
تديريك .

ومهما أصابنى الحظ الحقود فى منزلتى ،
فإن عقلى أبعد من أن يطأه بعجلته .
وريك : إذن هل يستطيع عقل إدورد أن يجعله ملك
إنجلترا ؟

(يخلع عنه التاج)

سيلبس هنرى الآن التاج الإنجليزى ،

٥٠

وسيكون ملكًا بحق ، ولن تكون أنت إلا خيالًا وظلا .
 أى سيدى لورد ستمرست ، مرهم بناء على طلبى
 أن ينقلوا الدوق إدورد من فوره
 إلى حيث يوجد أخى ، كبير أساقفة يورك ،
 حتى إذا ما فرغت من قتال ممبروك وأتباعه ،
 جئت فى إثرك ، وأبلغته الجواب الذى بعثه
 إليه الملك لويس .

٥٥

والذى بعثته إليه السيدة بونا .

والآن أودعك إلى حين يا دوق يورك الكريم .

الملك إدورد : إن الذى تقضى به الأقدار لا بد أن يستسلم
 له الرجال ،

فلا جدوى من مقاومة الريح والموج معًا .

٦٠

(يخرجونه بالقوة)

أكسفورد : لم يبق أمامنا الآن أيها السادة

إلا أن نزحف بجنودنا على لندن ،

وريك : أجل ، هذا أول ما يجب علينا أن نفعله :

أن نطلق الملك هنرى من الأسر ،

ونجلسه على سرير الملك .

٦٥

الفصل الرابع

المنظر الرابع

لندن - القصر

تدخل الملكة إليزابيث ورؤوس

رؤوس : سيدتى ، ما بالك تغيرت هذا التغير المفاجئ ؟

الملكة إليزابيث : أتسألنى عن هذا يا أخى رؤوس ؟

ألم تعلم بعد أى كارثة حلت بالملك إدورد ؟

رؤوس : ماذا أصابه ؟ أخسر معركة حامية ضد يورك ؟

الملكة إليزابيث : كلا ، بل خسر شخصه الملكى .

رؤوس : إذن هل قتل سيدى ؟

الملكة إليزابيث : نعم ، كأن قد قتل ، فقد سيق أسيراً ،

إما بخيانة من حرسه ،

و إما أن عدوه قد باغته فأخذه على حين غفلة .

وقد عهد به حديثاً ، كما عامت ،

إلى حراسة أسقف يورك

أخى وريك اللعين ، وعدونا من ثم .

رقرس

: تلك أنباء تبعث أشد الحزن بلاريب .
ولكن لا بد لك يا سيدتى الجليلة أن تصبرى
عليها ما وسعك الصبر ،

١٥

فقد يهزم وريك ، وإن كان قد فاز الآن بالنصر .
الملكة إلزبت : وإلى أن يحدث هذا ، فإن الأمل الجميل لا بد
أن يؤخر خسران الحياة
وخلقى بى أن أباعد ما بينى وبين اليأس .

٢٠

حباً منى فى ابن إدورد الذى أحمله فى أحشائى
وهذا هو الذى يجعلنى أكبح جماح أحزاني .
وأتحمل فى أناة حظى العاثر ؛
أجل ، أجل ، فى سبيل هذا أسترده كثيراً من
العبرات ،
وأكتم الزفرات التى تجيش فى صدرى وتمتص
دمى .

كيلا أحرق بزفراتى ، أو أغرق بدمعى ،
ثمرة الملك إدورد ووارث تاج إنجلترا بنحق .
٢٥ رقرس : ولكن يا سيدتى ماذا آل إليه أمر وريك ؟
الملكة إلزبت : لقد بلغنى أنه متجه إلى لندن .
ليضع التاج مرة أخرى على رأس هنرى .

ولتحدث أنت ما بقى . فسوف يسقط جميع
أصدقاء الملك إدورد لا محالة .

ولكنى سأحول بين هذا الغاشم وعنفه —

لأن الإنسان لا يصح له أن يثق بمن يحون
عهده مرة —

٣٠

بأن أذهب من فورى إلى الدير ،

لكى أنقذ فى القليل وريث حقوق إدورد .
ففيه سوف أكون آمنة من العنف والخديعة ،

فتعال إذن ، ولنفر حين نستطيع الفرار :

لأنا سنلقى منيتنا بلا ريب ، إذا لحقنا وريك .
(يخرجان)

٣٥

الفصل الرابع

المنظر الخامس

حديقة قرب قلعة مدلهام في يوركشير

يدخل جلوستر ، ولورد هيستنجس ، وسير وليم ستانلى : وغيرهم

جلوستر : والآن يا لورد هيستنجس ويا سير وليم ستانلى ،
ليس لكما أن تعجبا من السبب الذى من أجله-
جئت بكما إلى هنا ،
إلى هذه البقعة المتكاثفة الأشجار فى الحديقة ،
فها كما حقيقة المسألة : إنكما لتعلمان أن أخى الملك
سجين هنا عند الأسقف . وأنه يلتقى على يديه
معاملة طيبة ، ويتمتع بحرية واسعة ،
وكثيراً ما يأتى إلى هذه الناحية ليصطاد ويسرى
عن نفسه ،

ولا يصحبه إلا حرس ضعيف .

ولقد أبلغته بطريقة سرية .

أنه إذا جاء إلى هذا المكان حوالى هذه الساعة ،

متظاهراً بأنه جاء يبغي صيده المعتاد ،
 فسيجد هنا أصدقاءه ومعهم جواد ورجال ،
 ليطلقوه من أسره .

(يدخل الملك إدورد ومعه صائد)

الصائد : من هنا يا مولاي ، لأن هنا يكون الصيد .
 ١٥ الملك إدورد : لا بل من هنا ، يا رجل ، انظر أين يقف
 الصائدون .

والآن يا أخي جاوستر ، ويا لورد هيستنجنس
 ومن معكما ،

أتقفون هنا متجاورين لتسرقوا غزلان الأسقف ؟

جلوستر : إن ظروف الوقت والحالة التي نحن عليها
 لتدعونا إلى الإسراع ،

فجوادك واقف في انتظارك عند ركن الحديقة .

٢٠ الملك إدورد : ولكن إلى أين نذهب بعدئذ ؟

هيستنجنس : إلى ثغر لن ^(١) يا مولاي .

ومن ثم نعبّر إلى البحر إلى فلاندرز .

جلوستر : صدقي ، إن صدق ظني فذلك ما كنت أقصده .

الملك إدورد : سوف أكافئك يا ستانلي على جرأتك .

(١) ثغر Lynn ومنه سيعبر البحر إلى فلاندرز .

- ٢٥ جلوستر : ولكن ، فيم التريث ؟ وليس هذا وقت الكلام .
 الملك إدورد : وما قولك أيها الصائد ؟ هل تذهب معنا ؟
 الصائد : خير لي أن أفعل هذا . من أن أبقى وأشقى .
 جلوستر : تعال إذن ، هيا ، ولا حاجة إلى المزيد من الكلام .

- الملك إدورد : وداعاً يا أسقف ، اتق غضب وريك
 ٣٠ وادع لي ربك أن أستعيد التاج .
 (يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر السادس

لندن - البرج

يدخل الملك هنرى . وكلاينس ، ووريك ، وسمرست ، والشاب رتشمند ، وأكسفورد ،
ومنحيو ، وقائد الحصن .

الملك هنرى : أيها السيد القائد ، والآن وقد زحزح الله وأصدقائي

إدورد عن سرير الملك ،

وبدلى من أسرى حرية ،

ومن خوفى آملا ، ومن حزنى فرحاً ،

فإنى أسألك بعد أن نلت حريتى ماذا يكون

جزاؤك الحق ؟

القائد : ليس للرعية أن يطلبوا شيئاً من ملوكهم ،

ولكن إذا كان للضراعة الدليلة جدوى ،

فإنى إذن ألتمس الصفح من جلالتك .

الملك هنرى : عن أى شىء تطلب الصفح أيها القائد ؟

عن حسن معاملتك إياى ؟

لا . بل ثق أنى سأجزيك على حسن صنيعك ،

لأنه جعل من سجنى متعة ،
 أى نعم ، متعة كالتى يهفو إليها الطير السجين ،
 إذا ما أنساه تغريده الشجى فى قفصه ،
 بعد أن طال تفكيره الحزين فى أمره .

ما خسرته من حريته .

١٥

ولكنك أنت يا وريك ، الذى وهبت لى بعد
 الله حريتى ؛

ولهذا فىنى أوجه الشكر لله ولك .

فقد كان هو سبحانه مسبب الأسباب . وكنت
 أنت أداة تنفيذها .

وإذ كنت أرغب فى أن أتغلب على ما يضمه
 لى سوء حظى من أحقاد ،

بأن أعيش متواضعًا متخليًا عن مظاهر العظمة ،
 فأمن بذلك من أذى حظى العاثر .

٢٠

وأن يأمن أهل هذا البلد المبارك ،

أن ينزل بهم الشر بسبب نحس طالعى ،

فإنى يا وريك أعلن فى هذا المكان نزولى عن
 الحكم لك ،

وإن كان رأسى لا يزال يحمل التاج ،

٢٥

لأن التوفيق يحالفك في كل أعمالك .

وريك : لقد اشتهرت يا صاحب الجلالة بالفضل طول

حياتكم ،

والآن ، تُظهر أن حكمتك لا تقل عن

فضلك ،

فقد فطنت إلى ما يضر لك الحظ من أحقاد ،

وعملت على تجنبها ،

فقل من الناس من يستطيع أن يكيف نفسه

لحقد الأقدار ،

ولكني أستسمحك فأعتب على جلالتك هذا

الفعل دون غيره ،

لأنك اخترتني لهذه المهمة . على حين أن كلارنس

حاضر هنا بنفسه .

كلارنس : لا ، يا وريك ، إنك خليك بهذا السلطان ،

لأن الله قد وهبك حين مولدك

غصن الزيتون وإكليل الغار ،

لتكون مباركاً في السلم والحرب على السواء ،

ولهذا فإن لك مني رضائي الصادق .

وريك : وأنا أختار كلارنس وحده حامياً للمملكة .

الملك هنري : مد إلى يا وريك وأنت يا كلارنس يديكما ،

وليمسك كل منكما بيد صاحبه . وضما إلى
اليدين قلوبكما ،

حتى لا يعطل الخلاف بينكما شئون الحكم .
وهأنذا أعينكما حاميين لهذا البلد ،
حين أخلد إلى حياة العزلة ،
وأقضى آخر أيامى فى العباداة .

نادمًا على آثامى ومسبحًا بحمد خالقي .

: ماذا يقول كلارنس فيما يريد ملهكه ؟

: إنه راض ، إذا رضى به وريك .

لأنى أربط حظى بحظك .

: إذن فحتم على ، وإن كنت كارهًا ، أن أقبل ،

وسنكون رفيقين ، كأننا ظل مزدوج

لجسم هنرى ، نشغل مكانه ،

أقصد أننا سنشغله فى تحمل أعباء الحكم ،

على حين يستمتع هو بالشرف وبهنايته .

والآن يا كلارنس ، إن من ألزم الأعمال لدينا

أن نعلن من فورنا أن لإدورد خائن ،

وأن نصادر أرضه وسائر أملاكه .

٤٠

٤٥

وريك

كلارنس

وريك

٥٠

٥٥

كلارنس : أجل ، وماذا بعد ذلك ؟ إن علينا أن نقرر أمر وراثة العرش .

وريك : نعم ، وفي هذا لن يعود كلارنس صفر اليدين .
الملك هنرى : أجل ، ولكنى أرجوكم أن يكون أول ما تقومون به من أعمالكما الخطيرة ،

وأقول أرجوكم ، لأننى لم يعد لى حق فى أن آمر ،
أن ترسلوا فى طلب مرجريت ملكتكم وابنى إدورد ،

كى يعودا من فرنسا على جناح السرعة ،
لأن سرورى بحرى سيعشيه بعض التغشية
ما يتتابنى من خوف وريبة ، حتى أراهما هنا .

كلارنس : سنفعل هذا يا مولاي من فورنا .

الملك هنرى : من هذا الشاب ، يا لورد سمرست ، الذى يبدو أنك ترعاه أحسن رعاية ؟

سمرست : مولاي ، إنه الشاب هنرى ، إيرل رتشمند .

الملك هنرى : تعال هنا ، يا أمل إنجلترا .

(يضع يده على رأسه)

فإن تكن القوات الخفية

تصدق فيما توحى به إلى أفكارى التى تنفذ فى

طيات المستقبل ،

فإن هذا الصبي الوسيم . سيكون نعمة على هذه
البلاد.

ذلك أن ملامحه تنم عن الجلال الهادئ ،

وأن رأسه قد سوته الطبيعة ليلبس التاج ،

ويده قد خلقت لتقبض على الصولجان ،

وفي ظني أن شخصه سيبارك العرش الملكي .

٧٥

ليكن موضع رعايتكم أيها السادة .

لأنكم ستنالون على يديه من الخير

أكثر مما نالكم على يدي من الأذى .

(يدخل رسول)

وريك : ما وراءك من الأخبار يا صاح ؟

٨٠ الرسول : لقد أفلت إدورد من عند أخيك .

وفر ، كما علم بعد فراره ، إلى برجندى .

وريك : ما أسوأ هذا النبأ ! ولكن قل لي كيف استطاع

الهرب ؟

الرسول : لقد هربه رتشارد دوق جلوستر ولورد هيستنجنس

اللذان انتظراه في كهين خفي على جانب الغابة ،

فأنجياه من صيادی الأسقف ،

٨٥

لأن الصيد كان رياضته اليومية .

وريك : لقد أهمل أخى كل الإهمال فى حراسته ،

ولكن لنخرج من هنا يا مولاي ،

لنهيء علاجاً لكل ما عساه يحدث من شرور

(يخرجون جميعاً ما عدا سمرست ، ورتشمند ، وأكسفورد)

٩٠ سمرست : يا سيدى ، لست رتاجاً لهروب إدورد هذا ،

لأنى لا أشك فى أن برجندى ستقدم له العون ،

ولن يمضى كثير من الوقت حتى نواجه الحرب

من جديد .

وكما أن قلبى قد ابتهج من نبوءة هنرى الأخيرة .

بما بعثه فى من آمال فى هذا الشاب رتشمند ،

فإن قلبى الآن يتوجس خيفة مما عساه أن

٩٥

يصيبه

ويصيبنا من أذى فى هذه الحروب .

ولهذا فإنى أشير عليك يا لورد أكسفورد ،

أن نبعث به من فورنا إلى بريتانى .

حتى تسكن عواصف هذه الفتنة الأهلية .

١٠٠ أكسفورد : أجل ، فإنه إذا استرد إدورد التاج .

فأكبر الظن أن رتشمند وكل من عداه سيدوقون
الوبال .

سمرست : فلنفعل هذا ، ولنذهب إلى بریتانی
هیا بنا إذن ، ولندير الأمر على عجل .

الفصل الرابع

المنظر السابع

أمام يورك

طبول — يدخل الملك إدورد ، وجلوستر ، وهيستنجس ، وجنود

الملك إدورد : والآن يا أخى رتشارد ، ويا لورد هيستنجس ،

ويا بقية من معى ،

إن الأقدار تصلح الآن ما أفسدته من أمرنا ،

وكأنها تقول مرة أخرى إني سأستبدل تاج

هنرى الماكى ،

بما كان لى من منزلة عصفت بها الأيام .

لقد عبرنا البحار ، ثم عدنا الآن فعبرناها مرة

أخرى .

وجتئنا من برجندي بما كنا نرغب فيه من عون .

وما ذا بقى علينا ، وقد وصلنا من مرفأ رافنزبيرج

أمام أبواب يورك ،

إلا أن ندخلها كأنا ندخل فى دوقيتنا ؛

- جلوستر : إن الأبواب موصدة ؟ وهذا مالا أحب ،
 ١٠ فإن تعثر الكثيرين عند مداخل المدن ،
 ينذر بما فى داخلها من الأخطار .
 الملك إدورد : صمتاً ، يا رجل ! يجب ألا تخيفنا هذه
 الهواجس ،
 ولا بد أن ندخل المدينة بخير الوسائل أو أسوأها .
 لأن أصدقاءنا سيوافوننا إليها .
 ١٥ هيبستنجنس : مولاي ، سأدق الباب مرة أخرى لأدعوهم
 (يظهر على الأسوار عمدة يورك ، وإخوانه)
 العمدة : أيها السادة ، لقد نبئنا قبل الآن بمقدمكم ،
 فأوصدنا الأبواب لنحمى بذلك أنفسنا ،
 لأننا الآن ندين بالولاء إلى هنرى .
 الملك إدورد : ولكن ألا تعلم يا سيدى العمدة أنه إذا كان
 هنرى ملكاً
 ٢٠ فإن إدورد ، فى القليل ، دوق يورك .
 العمدة : هذا حق يا سيدى العظيم ، فلست أعرف أنك
 أقل من هذا
 الملك إدورد : نعم ، ولست أطلب إلا بدويقتى ،
 فأنا راض ولا أبغى سواها .

جلوستر : (لنفسه) ولكن الثعالب لا يكاد يزوج بأنفه
في موضع .

حتى يجد من فوره وسيلة يدخل بها جسمه . ٢٥
هيستنجس : ماذا ترى ، يا سيدى العمدة ، وإلام هذا
التردد ؟

افتح الأبواب ، فنحن أصدقاء الملك هنرى .
العمدة : أجل ، أتقولون هذا ؟ إذن فستفتح الأبواب .
(يزلون عن الأسوار) .

جلوستر : يا له من قائد حكيم ، شجاع ، وما أسرع
ما تأثر واقتنع !

٣٠ هيستنجس : إن هذا الشيخ قد ظن أن الأمور كلها تجري
على أذلالها !

ولهذا لم يتطلب إقناعه وقتاً طويلاً ، أما إذا
دخلنا المدينة ،

فلست أشك في أننا لن يطول بنا الوقت حتى
نقنعه

هو وإخوانه أن يستمعوا إلى صوت العقل .
(يدخل الملك واثنان من شيوخ المدينة ، بعد أن نزلوا عن
الأسوار) .

الملك إدورد : ياسيدى العمدة : يجب ألا توصل هذه الأبواب
إلا أثناء الليل أوفى وقت الحرب . ٣٥

ما هذا ! لا تخف أيها الرجل ، وأعطني المفاتيح
(يأخذ المفاتيح)

فإن إدورد سيدافع عن المدينة وعنك ،
وعن كل أولئك الأصدقاء الذين يحبون أن
يتبعونى .

(زحف يدخل منتجمرى وقوات عسكرية) .

جلوستر : أنخى ، هذا سير جون منتجمرى صديقنا الوفى ،
إن لم أكن مخدوعاً فى ظنى . ٤٠

الملك إدورد : مرحباً بك ، يا سير جون ! ولكن لم جئت
شاكى السلاح ؟

منتجمرى : لأقدم العون إلى الملك إدورد فى أيام محنته ،
كما يجب أن يقدمه إليه كل رجل وفى مخلص
من رعاياه .

الملك إدورد : شكراً لك يا منتجمرى النبيل ، ولكننا الآن
لا نذكر حقنا فى التاج ، ولا نطلب إلا دوقيتنا ، ٤٥
حتى يأذن الله بالباقي .

منتجمرى : إذن أستودعك الله ، وإني لعائد من حيث أتيت ،

فقد جئت لأخدم ملكًا ، لا دوقًا .
يا حامل الطبل دق طبلك ، ودعنا نغادر ذلك المكان

(يدق الطبل ويبدأ السير)

٥٠ الملك إدورد : بل تريث يا سير جون قليلا ، ودعنا نتبادل الرأى

منتجمرى : ما هذا ! أتتحدث عن تبادل الرأى : إني أقولها كلمة لا أكثر :

إن لم تناد بنفسك ملكًا فى هذا المكان ،
فإنى تاركك لما تأتيتك به الأقدار ،
وسأرحل لأرد من يأتون لنجدتك .

٥٥

جلوستر : ما هذا يا أخى ، ولماذا تتمسك بهذه الأمور التى لا غناء فيها ؟

الملك إدورد : سوف نطالب بحقنا ، حين نرداد قوة ،
وإلى أن يحين ذلك الوقت ، فإن من الحكمة

أن نستمر مقاصدنا .

٦٠ هيستنجس : ألا بعداً لهذه الحكمة المتزمتة ! فليكن السيف الآن هو الفيصل .

جلوستر : إن أسرع الناس إلى لبس التاج هو أشدهم بأساً وأبعدهم عن الخوف .

أخي ، سننادى بك ملكاً من فورنا .
فإن هذا الخبر وحده سيأتيك بالكثير من الأصدقاء .

الملك إدورد : إذن فليكن ما تريدون ، فإن هذا حتى ،
وليس هنري إلا مغتصباً للتاج . ٦٥

منتجمري : أجل ، إن مولاي الآن يتكلم بما هو خليق به ،
والآن سأكون نصيراً لإدورد .
(يعطيه ورقة و يبدق الطبل)

الجنود : إدورد الرابع ، بنعمة الله ،
ملك إنجلترا وفرنسا ، وسيد إيرلندا . . إلخ .

٧٠ منتجمري : ومن يعارض حق الملك إدورد .
فإني بهذا أتحداه ، وأدعوه إلى البراز .
(يلقي قفازه)

الجميع : ليحيا الملك إدورد الرابع !
 الملك إدورد : شكراً لك يا متجمرى الباسل ، وشكراً لكم
 جميعاً :

لئن خالفنى الحظ لأجزينكم على حسن
 صنيعكم .

والآن ، لنقض الليلة هنا فى يورك .
 حتى إذا ما أشرقت شمس الصباح ،
 وعلت فوق هذا الأفق ،
 فسنزحف للقاء وريك وصحبته ،
 فأنا أعلم علم اليقين أن هنرى ليس بالجندى
 المحارب .

وويل لك يا كلارنس الأحمق ،
 إنها لكبيرة منك أن تمالأ هنرى وتترك أخاك !
 أما وقد فعلت ، فسنلقاك أنت ووريك .
 هلموا بنا أيها الجنود البسلاء ، ولا يخامرنا شك
 فى أننا سيكتب لنا الفوز .

ولا تشكوا فى أننا ، إذا ما تحقق لنا النصر ،
 سنجزل لكم العطاء
 (يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثامن

لندن - القصر

طبول ، يدخل الملك هنرى ، ووريك ، وميتيجيو ، وكلاينس ، وإكسر ، وأكسفورد

وريك : ما رأيكم يا سادة ، لقد عاد إدورد من بلجيكا ،
ومعه ألمان يسرعون الخطى ، وهولنديون غلاظ
جفاة ،

وعبر البحار الضيقة فى أمان .
وهو يزحف الآن على رأس جنوده إلى لندن ،
ويهرع إليه كثيرون من الحلائق المتقلبين .

الملك هنرى : فلنعبى الجند لنرده على أعقابه .
كلارنس : إن النار الصغيرة لا تلبث أن تنطفئ إذا وطئتها
الأقدام ،

فإذا تركتها تتأجج ، عجزت عن إطفائها الأنهار .

وريك : إن فى واركشير أصدقاء صادقين

لا يتمردون في السلم ، ولكنهم شجعان في الحرب ،

وسوف أجند أولئك الأقوام ، أما أنت يا ابني
كلارنس ،

فعليك أن تشير ، في سفوك ، ونورفوك ، وكنت ؛
الفرسان والأشراف كي يأتوا معك ،

وأنت يا أخى منتجيو فستجد في بكنجهام ،
ونورثمبتن ، وليستر شير رجالا يهفون بأذانهم

إلى ما تأمرهم به .

وأنت يا أكسفورد الباسل ، يا من يحبه

أهل أكسفورد شير أعظم الحب ،

عمايك أن تحشد من فيها من الأصدقاء .

أما مولاي الملك والمواطنون الذين يحبونه ،

ويلتفون حوله ، كما يلتف البحر حول جزيرته .

أو كما تلتف الحور حول ديانا الخفرة .

فسيبقى في لندن حتى نجىء إليه .

أيها السادة الكرام ، استأذنوا للانصراف ،

ولا تنتظروا حتى تردوا الجواب . وداعاً

يا مولاي .

- ٢٥ الملك هنرى : وداعاً ياهكتور (١) ، يا أمل طروادى الحق .
 كلارنس : دعنى أقبل يدك دليلاً على صادق إخلاصى .
 الملك هنرى : حالفك التوفيق يا كلارنس يا ذا العقل
 الحصيف .
 منتجيو : استرح يا مولاي ، وأستأذنك فى الانصراف .
 أكسفورد : وبهذا أسجل ولأئى ، وأستودعك الله .
 ٣٠ الملك هنرى : يا عزيزى أكسفورد ، وأنت يا منتجيو ،
 يا من تحببى وتعزنى ،
 أودعكم جميعاً مرة أخرى وأتمنى لكم السعادة .
 وريك : وداعاً أيها السادة النجب ، وإلى اللقاء فى
 كفنترى .

- (يخرجون جميعاً ما عدا الملك هنرى وإكستر)
 الملك هنرى : لأستريح قليلاً هنا فى القصر ،
 ما رأى سيادتك ، يابن العم إكستر ؟
 ٣٥ أظن أن القوة التى أنزلها إدورد فى ميدان القتال
 لن تقوى على لقاء قوى .
 إكستر : لكن الذى نخشاه أن يغرى الباقين فينضموا
 إليه .

(١) هكتور من أعظم أبطال طروادة اشتهر ببسالته فى حربها مع اليونان (المترجم)

الملك هنرى : لست أخشى هذا . لأن فعلى قد أذاعت شهرتى ؟

فأنا لم أصم أذنى عن سماع مطالبهم .

ولم أتهاون بالتسويق فيها والبطء .

وكانت رأفتى بهم بلسمًا يشفى جراحهم ،

وحلمى يخفف من شدة أحزانهم ،

ورحمتى تجفف دموعهم الهتانة الجارية .

ولم أطمع قط فى أموالهم ،

ولم أرهقهم بالضرائب الفادحة .

ولم أبادر إلى الانتقام منهم وإن كثرت أخطاؤهم .

فعلام إذن يحبون إدورد أكثر مما يحبونى ؟

لا يا إكستر ، إن هذه الحسنات لن تعجزى إلا بحسنات مثلها .

وإذا ما صانع الأسد الحمل ،

فإن الحمل لن ينقطع عن السير ورائه .

(يسمع صراخ فى الداخل ، يا لانكستر ! يا لانكستر !)

إكستر : أنصت ، أنصت ، يا مولاي ! ما هذا الصراخ ؟

(يدخل الملك إدورد وجلوستر ، وجنود) .

٤٠

٤٥

٥٠

الملك إدورد : اقبضوا على هنرى الحى المحتشم . واحملوه من هنا ،

ونادوا بى مرة أخرى ملكاً على إنجلترا .
إنك أنت النبع الذى تنساب منه الجداول
الصغرى .

والآن تسد العين التى يخرج منها ماءك ؛
ويمتص بحرى ماء تلك الجداول ،
فيجف ويعلو بذلك ماء بحرى .
خذوه من هنا إلى البرج ! ولا تسمحوا له
بالكلام .
(يخرج بعضهم ومعهم الملك هنرى)

ولنتخذ طريقنا يا سادة نحو كوفنترى ،
حيث يقيم الآن الطاغية وريك :
إن الفرصة الآن سانحة فلنغتنمها (١) .
أما إذا تباطأنا فقد أضعناها وضاعت معها
آمالنا (١)

(١) فى الأصل إشارة إلى المثل الإنجليزى المعروف Made hay while the sun shines ولم نشأ أن نتقيد بحرفيته بل آثرنا إثبات معناه وهذا مذهب له قيمته فى ترجمة الأمثال إن لم يكن لها أمثال فى معناها باللغة العربية (المترجم) .

جلوستر

: هيا عجلوا ، قبل أن تتجمع قواه ،
 كي نأخذ الحائن المتعاطم على غرة .
 أيها المحاربون البسلاء ، سيروا من فوركم نحو إكستر
 (يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

كوفنترى

يظهر وريك ، وعمدة كوفنترى ، ورسولان ، وأناس آخرون فوق الأسوار .

وريك : أين الرسول الذى قدم من عند أكسفورد
الشجاع ؟

كم يبعد سيدك عنا . أيها الرفيق الأمين ؟
الرسول الأول : هو فى هذه الساعة عند دنزموور يستحث
الخطى إلى هذا المكان .

وريك : وكم يبعد عنا أخونا منتجيو ؟
أين الرسول الذى قدم من عند منتجيو ؟

الرسول الثانى : هو فى هذه الساعة عند دينتري ، على رأس
قوة كبيرة

(يدخل سبر جون سمرقيل)

وريك : قل لى يا سمرقيل ، ماذا يقول أخى الحبيب ؟
وكم تظن البعد بين كلارنس وبين هذا المكان
الآن ؟

سمرقيل : لقد غادرت هـو وحنوده عنء سءم

١٠ ومنتظر وصوله إلى هنا بعد نحو ساعتين .

(تسمع طبول)

وريك : إذن فقد وصل كلارنس فهأنذا أسمع طبوله .

سمرقيل : ليست هذه طبوله يا سيدى ، فإن سءم تقع فى هذه الناحية

والطبول التى تسمعها سيادتكم قادمة من وريك .

وريك : ترى من يكون القادم ؟ أكبر ظنى أنهم أصدقاء لم نكن نتوقع قدومهم .

١٥ سمرقيل : لقد أقبلوا ، وستعرف من فورك من هم .

(زحف - طبل - يدخل الملك إدورد ، وجلوستر ، وقوات حربية)

الملك إدورد : اذهب يا نافخ البوق إلى الأسوار وادع إلى المفاوضة .

جلوستر : واستكشف القوة التى أقامها وريك المشاكس فوق الأسوار .

وريك : ألا أيها الشر الذى جاء على غير انتظار ! هل أقبل علينا إدورد العاىث ؟

ف هـ

وأين كان كشافونا نائمين ، أو كيف خدعوا
وغرر بهم ،

٢٠

فلم نسمع خبراً عن قدومه ؟
الملك إدورد : والآن يا وريك ، هل تفتح أبواب المدينة ،
وتحسن الكلام ،

وتثنى ركبتك خاضعاً ذليلاً ،
وتنادى بإدورد ملكاً ، وتلتمس منه الرحمة ؟
فإن فعلت فسيغفر لك هذه السيئات .

٢٥ وريك

: لا ، بل أسألك بدلاً من هذا . هل تسحب
قواتك من هذا المكان ؟
وهل تعترف بالذى أقامك على العرش وأنزلك عنه ؟
وتدعو وريك نصيرك وحاميك ؟ وتكفر عن
ذنبك ؟

فتبقى على الدوام دوق يورك .

جلوستر

: لقد حسبت أن سيقول على الأقل فتبقى ملكاً ،
أو هل قال ما قال مزاحاً عن غير قصد ؟

٣٠

: أليست الدوقية ، يا سيدى ، هدية طيبة ؟

وريك

: إى وربى ، إنها هدية طيبة يهديها إيرل مسكين :
سأجزيك بما تستحق على هذه الهدية الطيبة .

جلوستر

وريك : إني أنا الذى وهبت الملك لأخيك .
 ٣٥ الملك إدورد : إذن فهو لى هبة من وريك ، إن لم يكن
 لسبب آخر .

وريك : إنك لن تطيق حمل هذه الأمانة الثقيلة .
 وإن وريك ليسترد هبته منك أيها الضعيف .
 وإن هنرى هو مايكى وإدورد أحد رعاياه .
 ٤٠ الملك إدورد : ولكن ملك وريك سجين إدورد .
 واستأسألك يا وريك الشهم إلا أن تجيبني عن
 هذا السؤال :

ما قيمة الجسد ، إذا ذهب عنه الرأس ؟
 جلوستر : وأسفاه ! لقد أثبت وريك أنه قصير النظر ،
 فبينما كان وريك يحنال ويخادع .
 ٤٥ إذا الملك قد اختلس من بين صحبه (١) .
 فقد تركت هنرى المسكين فى قصر الأسقف ،
 ولست أشك فى أنك ستلتقى به فى البرج .
 الملك إدورد : ذلك حق لا ريب فيه : ومع هذا فإنك لا تزال
 على ما أنت عليه .

(١) فى الأصل استعارة من لعب الأوراق وأنواع العشرات وما إليها رأينا أن نترجمها
 بمعناها لا بألفاظها (المترجم) .

جلوستر : هلم يا وريك . اغتتم هذه الفرصة . اجث على ركبتيك . اجث على ركبتيك إلى متى التباطؤ ؟ عجل الآن . وإلا ضاعت الفرصة .

وريك : لخير لى أن أقطع يدى هذه بضربة واحدة . ثم ألقها فى وجهك باليد الأخرى . من أن أخفض شراعى لأتدلل لك .

الملك إدورد : انشر شراعك كما يخلو لك ، ولتحالفك الريح والأمواج كما تحب

فإن هذه اليد ستقبض على شعرك الأسود الفاحم ،

وحين لا يزال رأسك ساخناً وشيك القطع . سنكتب بدمك على الثرى هذه العبارة :

« إن وريك المتقلب مع الريح . لن يستطيع التقلب بعد اليوم » .

(بدخل أكسفورد بطبواه وأعلامه) .

وريك : إيه أيتها الأعلام المفرحة المبهجة ! ها هو ذا أكسفورد قد أقبل .

٦. أكسفورد : أكسفورد فى نصرة بيت لانكستر !

(بدخا هو وحنوده المدنة)

جلوستر : لقد فتحت الأبواب فها بنا نحن أيضاً ندخل
 الملك إدورد : وبهذا يطبق علينا أعداء آخرون من وراء ظهورنا .
 خير لنا أن نقف متأهبين . لأبهم بلا ريب
 سيخرجون مرة أخرى طالبين القتال .

٦٥ فإن لم يفعلوا ، فإن المدينة ضعيفة التحصين .
 وسنهاجم من فيها من الخونة بعد قليل .
 وريك : مرحباً بك يا أكسفورد : لأننا في حاجة إلى
 معونتك .

(يقبل متحمس بالطلب والأعلام)

منتجيو : منتجيو ، منتجيو ، ينصر بيت لانكستر .
 (بدخل هو وجوده المدينة)

جلوستر : إنك أنت وأخاك . ستشتريان كلاهما هذه الحياه
 بأغلى دم يجري في جسديكما . ٧٠

الملك إدورد : كلما راد خصمك فوه ، كان انتصارك
 عليه أدعى إلى المجد .
 وإن قلبي ليحدثني بأننا ملاقون توفيقاً ونصراً .
 (بقبل سمرست ، بطبله وأعلامه)

سمرست : سمرست ، سمرست ، في نصرة بيت لانكستر .
 (بدخل هو وجوده المدينة)

حلوستر : إن اتنين من أهلك ، كلاهما كان دوق
سمرست (١) ،

قد لقيّا حتفهما على يد بيت يورك ،
وستكون أنت ثالثهما إن لم ينب هذا السيف .
(يقبل كلارنس بطله وأعلامه)

وريك : انظروا ، ها هو ذا جورج دوق كلارنس
راحف نحونا ،

بقوة تكفى وحدها لقتال أخيه .
وقد غلب فيه التحمس لنصرة الحق .
غريزة الحب الأخوى !

أقبل يا كلارنس ، أقبل
وحتى أنت يا بروتس ستطعن قيصر أيضًا (٢) .
إذا دعاك إلى ذلك وريك .

كلارنس : هل تعلم أيها الأب وريك معنى هذا العمل ؟
(ينزع وردته الحمراء من قبعته)

(١) هما إدموند الذي قتل في واقعة سانت أولبر عام ١٤٥٥ . واسمه هنرى الذى قطع رأسه بعد واقعة هكسام عام ١٤٦٣ (المترجم) .

(٢) إشارة إلى الطعنة التى وجهها بروتس صديق قيصر الحميم إليه و إلى فول قيصر له « حتى أنت يا بروتس » . وهذا البيت غير موجود فى بعض الطبعات (المترجم) .

انظر ، هأنذا أقذف بخزني في وجهك :
 ولن أهدم قط بيت أبي ،
 الذي أراق دمه ليشيد لنا صرحًا متينًا .
 ويثبت بيت لانكستر . أفعتقد يا وريك
 أن كلارنس قد بلغت به الغلظة ، والغفلة ،
 والخروج على الطبيعة البشرية
 أن يسدد سهام القتال المهلكة
 إلى صدر أخيه ومليكه الشرعي ؟
 لعلك تحتج على بيميني المقدسة :
 لكنني إن بررت بهذه اليمين اقترفت إثمًا
 أشنع مما اقترفه يفتاح ^(١) حين ضحى بابنته ،
 وإني لنادم على ما ارتكبت من خطأ .
 وهأنذا أعلن أني عدوك الألد .
 لأكون بذلك خليقًا بأن يغفر لي أخي .
 وأقسم أني حيثما ألقاك —
 وسألقاك إذا برزت من مكمئك —
 لأجزينك شر الجزاء على تصليتك لي بهذه

(١) انظر سفر القضاة ١١ : ٣٠ .

الطريقة المشينة .

بهذا أتحداك يا وريك المتغطرس
وأعود إلى أخى بوجه يعلوه الحجل .
عفوك يا إدورد ، سأكفر عن ذنبي ،
وأنت يا رتشارد ، لا تغضبك أخطائي ،
فلن ترانى بعد اليوم متقلباً .

١٠٥

الملك إدورد : مرحباً بك ، من جديد ، وأنت اليوم أحب إلينا
أضعاف أضعاف منك لو لم تكن قد استحققت
كرهنا .

جلوستر : مرحباً ، أى كلارنس الكريم . هذا ما يليق
بالأخ لأخيه .

وريك : إيه أيها الخائن المارق . يا حانث يا ظالم ؟

١١٠ الملك إدورد : أجب يا وريك : أخرج من المدينة وتحارب ؟
أو هل نذك حجارتها مع الأسف حول أذنيك ؟

وريك : لست مقيماً هنا لأدافع عن نفسى .

وسأخرج من فوري إلى بانث

لأدعوك إلى القتال ، إن جرؤت على قتالى
يا إدورد

الملك إدورد : نعم يا وريك . إن إدورد لجرىء مقدام ، وهو
يسبق إلى الميدان .

هيا بنا إلى الميدان أيها السادة ، وليكن شعارنا
القديس جورج وإلى النصر .
(يخرجون . يرحمون وبنعمهم وريك وجمعه) .

الفصل الخامس

المنظر الثاني

مبدأ حرب فرب بارنت

طبول مناوشات . يدخل الملك إدورد ومعه وريك جريئاً .

الملك إدورد : إذن فارقده هنا : ولتمت ، وليمت معك خوفنا ،
فقد كان وريك مصدر خوفنا جميعاً وارتباعتنا ،
والآن يا منتجيو ، اتبت مكانك فأني ظالبك .
حتى تشوى بجوار عظام وريك .

ه وريك . آه من هذا الذى بالقرب منى ؟ تعال إلى
صديقاً كنت أو عدواً ،
وفل لى لمن تم النصر ، إلى يورك أم إلى وريك ؟
ولكن لم أسأل عن هذا ؟ إن جسدى الممزق ،
ودمى المسفوك ، وضعف قواى ، وقلبي العليل .
لتدل كلها على أنى يجب أن أسلم جسدى إلى
الثرى ،

وإن سقطى هذا يعنى أن العدو هو المنتصر .

وهكذا تستسلم السنديانة لضربات الفأس .
وهي التي كانت أغصانها ملجأ النسر أمير
الطير ،

والتي آوى إلى ظلها الأسد المصور ،
والتي علت فروعها السامقة على شجرة خوف
ذات الأغصان الوارفة (١) .

وحمت الأعناب القصيرة من ريح الشتاء العاتية .
لقد كانت هاتان العينان اللتان غشيتهما غبرة
الموت السوداء ،

نافذتى البصر نفاذ الشمس في كبد السماء ،
تنسان عما في العالم من غدر نجىء .
وهذه الغضون التي في جبهتي ، والمليئة الآن
بلدى ،

كثيراً ما كانت شبيهة بقبور الملوك .
فأى ملك حى لم أكن أستطيع أن أحضر قبره ؟
ومنذا الذى كان يجرؤ أن يبتسم إذا قطب
وريك جبينه ؟

(١) شجرة خوف أو جوبتر هي شجرة البلوط (المترجم) .

فانظروا الآن : إن مجدى قد بعثر بالتراب ولطخ
بالدماء .

وحدائقى ، وطرقائى ، وقصورى التى كنت أملكها
قد ذهبت كلها فى هذه الساعة ، وكل ما كان
لى من الأرض

٢٥

لم يبق لى منه إلا بقدر ما يمتد فيه جسدى .
ليست الأبهة ، والفخامة ، والسلطان ، والحكم ،
إلا أرضاً وتراباً ،
ومهما طال عمرنا ، فلا بد أن نلاقى الموت .

(يدخل أكسفورد وسمرس)

: آه يا وريك ، يا وريك ! لو أنك كنت حيّاً مثلنا .

سمرس

لكان فى مقدورنا أن نسترد مرة أخرى ما خسرناه .
لقد جاءت الملكة من فرنسا بقوة كبيرة .

٣٠

ترامت إلينا أنباؤها فى هذه الساعة . آه ليتك كنت
تستطيع الفرار .

: ولو أنى استطعته لما فعلت . آه يا منتجيو .

وريك

إن كنت أنت هنا ، أيها الأخ الحبيب ، فخذ
بيدى ،

وأطل بشفتيك حياتى هنيهة .

٣٥

إنك لا تحبني . فلو أنك كنت تحبني أيها الأخ ،
لغسلت بدموعك هذا العدم البارد المتجمد .
الذي تلتصق به شفتاي فيمنعني عن الكلام .
تعال يا منتحيو مسرعاً . وإلا مت قبل أن تجيء
٤٠ سمرست : آه يا وريك ! لقد لفظ منتحيو آخر أنفاسه ،
بعد أن ظل إلى آخر رمق من حياته ينادي طالباً
وريك ،

ويقول : « أبلغوا تحياتي إلى أخي الباسل » .
وكان بودي أن يقول أكثر من هذا . نعم إنه نطق
بأشياء كثيرة ،

ولكن كلامه كان أشبه بقصف مدفع في قبر ،
لا تستطيع تبين عباراته ، وأخيراً
٤٥ كان في وسعي أن أسمعهم يقول قالة مصحوبة
بالأنين .

« آه ، وداعاً ، يا وريك ! »
وريك . ليهب الله روحه العزيزة الراحة ! فروا ، أيها السادة
وانجوا بأنفسكم :
لأن وريك يودعكم جميعاً . حتى نلتقي في الجنة .
(موت)

٥٥ أكسفورد : هيا بنا ، هيا بنا ، نقابل جيش الملكة العظيم !
(يحملون الجنة ويخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

جزء آخر من ساحة القتال

طبول . يدخل الملك إدورد منتصراً ، ومعه كلارنس ، وجلوستر ، وسائر رجاله .
الملك إدورد : وهكذا يظل طالعنا في صعود ، ويكفل هاماتنا
النصر ،

ولكني أبصر في ضوء هذا النهار الساطع .
سحابة قاتمة ، مريبة ، منذرة بالخطر ،
سوف تصطدم بشمسنا الرائعة قبل أن تتم دورتها
وتؤذن بالغروب ،
أقصد بهذا يا سادة تلك الجيوش التي جندتها الملكة
في فرنسا .

والتي وصلت إلى شواطئنا ،
وتزحف الآن ، كما علمت ، لتحاربنا .
كلارنس : إن ريحاً ضعيفة لكفيلة بأن تبدد هذه السحابة في
وقت قليل .

وتردها إلى المكان الذى أقبلت منه .
 وإن أشعة الشمس وحدها لكفيلة بأن تجفف هذه
 الأبخرة فلا يبقى لها وجود ،
 وليست كل سحابة تنذر بعاصفة .

١٠

جلوستر : إن قوة الملكة تقدر بثلاثين ألف مقاتل ،
 وقد فر إليها سمرست مع أكسفورد :

وإذا ما أتيت لها فرصة من الوقت تستجمع فيها
 أنفاسها ،

١٥

فثق بأن حزبها سيقوى حتى يصبح فى مثل قوتنا .
 الملك إدورد : لقد أبلغنا أصدقاءنا المخلصون .
 أنهم يتجهون نحو توكسبرى .

٢٠

والآن وقد انتصرنا نصراً مؤزراً فى ميدان بارنت ،
 سنزحف إلى هناك من فورنا ، وإن الإرادة القوية
 لتطوى الأبعاد ،
 وستزداد قواتنا ، أثناء سيرنا ، فى كل مقاطعة
 تمر بها

دقوا الطبول ، ونادوا « الشجاعة ! » هيا بنا

(طبول - يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

سهل قرب نوكسبرى

زحف ، ندخل الملكة مرجريت ، والأمير إدورد ، وسمرت ، وأكسفورد ، وجند .

الملكة مرجريت : أيها السادة الأجلاء ، إن العقلاء من الناس
لا يجلسون أبداً .

ليندبوا ما أصيبوا به من خسائر ،
ولكنهم يسعون مستبشرين ليصلحوا ما فسد من أمرهم
ونحن ، وإن كانت سفينتنا قد تحطمت ساريتها ،
وتقطعت أماراسها ، وضاع مرساها ،
وابتلع اليم نصف بحارتنا ،

فإن قائدها لا يزال على قيد الحياة ، فهل يليق به
أن يرفع يده عن السكان ويعمل ما يعمله الصبي
المرتاع ،

ويذرف الدمع ويزيد البحر ماء على مائه ،
ويضيف قوة إلى ماله منها أكثر مما يريد !

وبينا هويئذ ويتأوه إذ تتحطم السفينة على الصخور
وكان الجدد والإقدام كنفيلين ببنجاتها ؟

آه ، يا للعار . وما أشنع هذه الغلطة إن وقعنا فيها .
ولنفرض أن وريك كان هو مرسانا ، ولكن ماذا

يهم هذا ؟

ولنفرض أن منتجيو كان ساريتنا العليا ، فماذا

١٥

يهمنا منه ؟

وكان من ماتوا من أصدقائنا حبال السفينة . فماذا

يهمنا منهم ؟

أليس أكسفورد هذا مرساة أخرى ؟

أليس سمرست سارية صالحة قوية ؟

وأصدقائنا في فرنسا أشرعة لنا وحبالا ؟

ولم لا يعهد إلى وإلى ند ، وإن كنا غير حاذقين ،

٢٠

أن نتولى نحن القيادة في هذه المرة ؟

ولن نغادر السكان لنجاس ونبكى ،

بل سنسير في طريقنا ، وإن عاكستنا الريح

العاتية .

نبتعد عن الشيطان والصخور التي تهددنا بالدمار ،

متأهبين لأن نقهر الأمواج أو نهادنّها .

٢٥

- وهل إدورد إلا بحر عجاج ؟
 وهل كلارنس إلا الشيطان الرملية الغادرة ؟
 وهل رتشارد إلا صخرة عاتية مهلكة ؟
 كل أولئك هم أعداء سفينتنا الضعيفة .
- ٣٠ ولو أنكم استطعتم السباحة ، لما كان ذلك ، مع
 الأسف ، إلا فترة وجيزة ،
 ولو استطعتم السير على الرمال الناعمة ، لغاصت
 بعد قليل أقدامكم فيها .
 أو ركبتم الصخرة . لا فتلعتكم من فوقها الأمواج ،
 أو هلكتم فوقها جوعاً ، لثم ميمات ثلاثاً .
 أقول لكم هذا أيها السادة لكي تدركوا
 أنه إذا حدثت أجدكم أنفسه بالانفضاض عنا ،
 ٣٥ فإنه لن يرجو من هؤلاء الإختوة رحمة ،
 أكثر مما عساه ياتماها من الأمواج العاتية ، أو من
 الرمال والصخور ،
 اعتصموا إذن بالشجاعة ! فإذا لم يكن من
 الأمر بد ،
 فإن الويل والخوف لا يكونان إلا ضعفاً كضعف
 الأطفال .

: أظن أن امرأة لها هذه الشجاعة ،
 للحليقة ، إذا سمع منها جبان هذه الألفاظ ،
 بأن تبعث في قلبه النخوة والشهامة ،
 وأن تجعله ، وهو أعزل ، قادراً على مغالبة رجل
 شاكي السلاح .

ولست أقول هذا لأني أرتاب في واحد منكم ،
 لأني لو ظننت أن من بينكم خائفاً ،
 لأذنت له من قبل بالعودة ،
 كيلا تسرى عدواه إلى غيره في ساعة الشدة ،
 فتحيله جباناً مثله .
 فإن كان منكم من له مثل هذه الروح ، وحاشا لله
 أن يكون ،

فليفارفنا قبل أن نحتاج إلى معونته .
 : أتكون للنساء والأطفال مثل هذه الشجاعة .
 تم يجبن المحاربون ؛ لو كان هذا لكان هو العار
 الذي لا يمحى أبداً الدهر .
 أيها الأمير الشاب الباسل ! إن جددك الذائع
 الصيت

لتحيا روحه من جديد : أسأل الله أن يمن عليك
بالعمر المديد .

لنرى فيك صورته . وتتحدد على بديك أمجاده !
سمرست : ومن لم يشأ منكم أن يقاتل في سبيل هذا الأمل
العظيم ،

فليعد إلى بيته وفرشه ، وإذا ما خرج من بيته
بالنهار ،

سخر الناس منه وعجبوا له كما يسخرون من البومة
الملكة مرجريت : شكراً لك يا سمرست ، يا صاحب القلب الطيب ،
وشكراً لك يا عزيزي أكسفورد

٦. الأمير : وتقبل الشكر ممن لا يملك شيئاً سواه .
(يدخل رسول)

الرسول : استعدوا أيها السادة لأن إدورد قريب ،
ومتأهب للقتال . إذن فشدوا عزائمكم .

أكسفورد : لم أكن أظن غير هذا ، فهذه هي خطته .
يسرع في الزحف على هذا النحو ، كي يفاجئنا
على غير استعداد .

٦٥ سمرست : ولكنه واهم ، فنحن مستعدون .
الملكة مرجريت : إن مما يبتهج له قلبي أن أرى منكم هذا الإقدام

هنا فلتدبر المعركة ، ولن نترجزح عن هذا المكان .
(طبول ورحب ، بدخل الملك إدورد ، وكلا رنس ، وجاوسر
رجمود)

أكسفورد

الملك إدورد . رجالى البسلاء . إن أمامكم غابة دات أشواك ،
وهى غاية لا بد أن تقتلع أشجارها من جذروها
قبل أن يحن الليل .

بعون الله وقوة عزائمكم .

٧٠

ولست فى حاجة أن أزيد نار حماستكم ضراماً ،
لأنى أعلم أنكم تتحرقون شوقاً إلى القضاء عليهم .
أصدروا الأمر بالقتال ، وهيا إليه يا سادة !

الملكة مرجريت : أيها الأعيان ، وأيها الفرسان ، وأيها السادة ، إن

دمعى يحول بينى وبين ما أريد أن أقوله ، لأن كل
كلمة أنطق بها ،

٧٥

أبتلع معها ، كما ترون ، دموع عينى ؛
ولهذا لن أقول لكم إلا هذه الكلمة : إن هنرى
مليكمكم

سجين لدى عدوكم ، ملكه مغتصب ،
ومملكته قد استحالت مجزراً ، ورعاياه يذبجون ،
وشرائعه تنسخ ، وأمواله تبدد ،

٨٠

وأمامكم ذلك الذئب مصدر هذا الدمار .
 إنكم تحاربون لمنصرة العدالة ، فمحق الله عليكم
 أيها السادة
 كونوا شجعاناً ، وأصدروا الأمر بالقتال .
 (طول ، تفهقر ، مناوشات . . يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

جزء آخر من ساحة القتال

طبول : يدخل الملك إدورد ، وكلاونس ، وجلوستر ، وجند ، ومعهم الملكة
مرجريت ، وأكسفورد ، وسمرسن أسرى .

الملك إدورد : هنا تنتهى مرحلة من مراحل هذه الفتنة الصاخبة .
اذهبوا يا أكسفورد إلى قلعة هيمز من فوركم .
أما سمرسن فأطيحوا برأسه الآن .
هيا . سيروا بهم من هذا المكان . فاست أريد
أن أسمع منهم كلاماً .

هـ أكسفورد : أما أنا فلن أثقل عليكم بشيء منه .
سمرسن : وكذلك أنا . بل أحنى هامتى صابراً على صروف
الأقدار .

(يخرج أكسفورد وسمرسن تحت الحراسة)

الملكة مرجريت : وهكذا نفرق محزونين فى هذا العالم المضطرب .
لنلتقى سعداء فى دار النعيم .

- الملك إدورد : هل أعلنتم أن من يعثر على إدورد .
 ١٠ فله مكافأة سخية ، ولإدورد الأمان على حياته ؟
 جلوستر : نعم فعانا ، ولكن ها هو ذا إدورد الشاب قادم .
 (يدخل بعض الجنود معهم إدورد)
 الملك إدورد : إيتوني بالفتى الشهم ، ولنسمع ما يقول .
 ماذا أرى أبدأت تحز هذه الشوكة الصغيرة ؟
 أى إدورد ، أى سبب تستطيع أن تبرره
 ١٥ حمل السلاح فى وجهى ، وإثارة رعاياى ،
 وكل ما أوقعتنى فيه من المتاعب ؟
 الأمير : تكلم كما ينبغى أن يتكلم الرعايا ، يا دوق يورك
 الطامع المتغطرس ،
 وافترض أنى أتكلم الآن باسان أبى .
 فأقول لك . انزل عن عرشك ، واركن على الأرض
 حيث أقف ،
 ٢٠ لأوجه إليك الألفاظ نفسها .
 التى تريد منى أيها الخائن أن أجيبك عنها .
 الملكة مرجريت : ألا ليت أباك كانت له مثل هذه العزيمة الماضية .
 جاوستر : حتى كنت نلسين على الدوام أنواب النساء .
 ولا تختلسين من لانكستر ملابس الرجال .

٢٥ الأمير : دعى إيزوب يهرف بخرافاته فى ليلة الشتاء ،
فألغازه الحسياسة لا يليق النطق بها فى هذا المكان .
جلوستر : تالله أيها الولد المدلل لأذيقنك البهائم جزء لك على
هذه الألفاظ .

الملكة مرجريت : أجل ، فإنك قد ولدت لتكون بلاء للناس .
جلوستر : بالله أبعدوا هذه الأسيرة السليطة اللسان .
٣٠ الأمير : بل أبعدوا بدلا منها هذا الإنسان الأحذب الطويل
اللسان .

الملك إدورد : اسكت أيها الولد العنيد وإلا أخرست لسانك .
كلارنس : أيها الغلام الجلف ، إنك لوقع غاية الوقاحة .
الأمير : إنى لأعرف واجبى ، ولكنكم جميعاً لا تعرفون
واجبكم .

وأنا أقول لكم يا إدورد الداعر ، وأنت يا جورج
الحانث ،

٣٥ وأنت يا دك المشوه الخلق ، أقول لكم جميعاً ،
إننى خير منكم ، لأنكم خونة غادرون .
ولأنكم تغتصبون حق أبى وحقى .
الملك إدورد : خذ هذه ، يا شبيهاً بهذه الوقحة التى هنا (يطمته)

- جلوستر : أتتلى ؟ خذ هذه لتنهى بها آلامك (يطعنه) .
- ٤٠ كلارنس : خذ هذه جزاء اتهامك إياى بالحنث (يطعنه) .
الملكة مرجريت : ألا فاقتلنى أنا أيضاً .
- جلوستر : تالله لنفعلن (يهيم بقتلها) .
- الملك إدورد : كف يدك يا رتشارد ، كف يدك . فقد أسرفنا فى القتل .
- جلوستر : ولم تعيش لتملأ الدنيا بأقوالها ؟
- ٥٠ الملك إدورد : ماذا أرى ، هل أغمى عليها ؟ اتخذوا الوسائل التى تعيد إليها وعيها .
- جلوستر : يا كلارنس ، اعتذر عنى لأخى الملك .
فسأرحل إلى لندن لأمر هام .
وثقوا أن ستبلغكم أنباء خطيرة قبل أن تصلوا إليها .
- كلارنس : أى أنباء ! أى أنباء ؟
- ٥٥ جلوستر : البرج ! البرج ! (يخرج) .
- الملكة مرجريت : أى ند (١) . عزبى ند ! رد على أمك يا بنى !
ألا تستطيع الكلام ؟ تباً للخونة ! السفاحين !
٥٥ إن الذين طعنوا قيصر ، لم يسفكوا دمًا قط ،
ولم يسيئوا ، ولم يكونوا خليقين باللوم ،

(١) ند اسم التدليل لإدورد (المترجم) .

لو أن هذا العمل الدنيء قد حدث إلى جانبه
ليقارن به .

لقد كان قيصر رجلاً ، أما هذا فإنه إذا قيس إليه
طفل صغير .

والناس لا يصبون غيظهم قط على الأطفال .
تري أى اسم أشنع من اسم القتلة حتى أسميهم به .
لا ، لا ، إن قاي سينفجر إذا أنا تكلمت ،

وسأتكلم ، كى يتفجر قلبي .
أيها الخزارون الأوغاد ! أيها السفاحون يا أكلة
لحوم البشر ،

أى نبات حلو حصدم قبل أوان الحصاد ؟
إنكم لا أبناء لكم أيها الخزارون ! ولو كان لكم
أبناء ،

لأثار تفكيركم فيهم الأسى والندم فى نفوسكم :
وإذا قدر لأحدكم أن يكون له ولد ،
فلينتظر أن يمزق جسمه فى شبابه ،
كما مزقتم أيها القتلة جسم هذا الأمير الشاب العزيز !
الملك إدورد : أبعدها من هنا ! احملوها من هذا المكان بالقوة .

الملكة مرجريت : لا ، لا تحملوني من هنا أبداً ، بل اقتلوني في هذا المكان :

هيا جرد سيفك ، وسأغفر لك مقتلي .

٧٠

ما هذا ! ألا تفعل ؟ إذن فافعلها أنت يا كلارنس .

كلارنس : تالله ، ما أنا بالرجل الذي يتيح لك هذه الراحة .

الملكة مرجريت : أي كلارنس ، أيها الرجل الطيب ، كلارنس ، أيها الرجل اللطيف ،

بالله عليك أن تفعل .

٧١ كلارنس : ألم تسمعي أقسم إنني لن أفعل ؟

الملكة مرجريت : بلى ، ولكنك تعودت الحنث في أيمانك :

وإذا كان هذا قبل إثما ، فهو الآن إحسان .

ما هذا ؟ ألا تفعل ؟ أين ذلك الشيطان الجزار ،

القبيح الوجه ، المشوه الخلق رتشارد ؟ أين أنت

يا رتشارد ؟

لست هنا ، إن القتل لمن حسناتك ،

٨٠

فأنت لا ترد أبداً من يطلب إليك سفك الدماء .

الملك إدورد : قلت لكم أبعدها من هنا ! إنني آمركم أن تحملوها

من هنا .

الملكة مرجريت : ليحل عليكم ، وعلى أهلكم ، ما حل بهذا الأمير !
(يخرجون بها)

الملك إدورد : أين ذهب رتشارد ؟

٨٥ كلارنس : ذهب على جناح السرعة إلى لندن ، وأظنه ذهب
ليحدث في البرج مذبحه .

الملك إدورد : إنه متهور مندفع ، إذا ما خطر شيء بباله .
والآن فلنسر من هنا : ولتسرحوا عامة الجند .
ولتجزلوا لهم العطاء والشكر ،
وهيا بنا إلى لندن .

٩٠

كى نرى ملكتنا الجميلة ، ونطمئن على أحوالها
وأرجو أن تكون الآن قد أنجبت لى ولداً .
(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر السادس

لندن - البرج

يدخل الملك هنرى وجلوستر وقائد الحرس على السور

جلوستر : طاب يومك يا مولاي ، ما هذا ! أمكب أنت

على كتابك ؟

الملك هنرى : أجل يا سيدى الطيب ، أو سيدى فقط كما يجب

أن أقول ،

لأن الملق لآثم ، وكلمة طيب أحسن قليلا مما تستحق ،

والقول بأن جلوستر طيب ، كالقول بأن الشيطان

طيب ، كلاهما سواء .

وكلاهما مناف للطبيعة ، إذن أقول يا سيدى

غير الطيب .

هـ جلوستر : اتركنا يا هذا وحدنا ، فإننا نريد أن نتحدث .

(يخرج قائد الحرس)

الملك هنرى : وهكذا يفر الراعى الأحمق من الذئب ،

وهكذا تسلم الشاة الوديعة جالدها ،
 ثم تسلم بعدئذ عنقها لسكين الجزار .
 فأى منظر من مناظر الموت يريد روسيوس^(١) الآن
 ١٠ أن يمثله ؟

جلوستر : إن الظنون السوء تلازم الفعل الأثيم .
 واللص يخشى كل عشب ويظنه حارساً .
 الملك هنرى : إن الطير الذى اصطيد وهو فى عشب ،
 يرتجف جناحاه ويرتاب فى كل الأعشاب .
 ١٥ وأنا الأب الشقى لطائر واحد جميل .
 أبصر الآن أمامى ذلك العشب المهلك ،
 الذى اصطيد فيه صغيرى المسكين ، وقبض عليه
 وقتل .

لكن الأبله المسكين غرق ولم يفده جناحاه .
 أنا ديدالوس هذا ، وإيكلروس هو ابنى المسكين ،
 ٢٠ وأبوك مينوس ، هو الذى وقف فى وجهنا ،
 وأخوك إدورد الشمس التى صلبت جناحى ولدى
 العزيز ،
 وأنت البحر الذى أغرقته أمواجه الغادرة وأهلكته ،

(١) روسيوس هو الممثل الرومانى العظيم المتوفى سنة ٦٣ ق . م (المترجم)

ويلك ، ألا ما قتلتنى بسلاحك لا بألفاظك ،
فإن صدرى ليطلق حد خنجرك ،

أكثر مما تطيق أذناى سماع تلك القصة المفجعة ، ٢٥
ولكن قل لى ، لم أتيت ! ؟ أفأتيت لقتلى ؟

جلوستر : أو تظن أنى جلاد ؟

الملك هنرى : لاشك عندى فى أنك طاغية متعسف :
وإذا كان قتل الأبرياء هو عمل الجلادين ،
فأنت إذن جلاد بحق . ٣٠

جلوستر : لقد قتلت ولدك جزاء وقاحته .

الملك هنرى : لو أنك قُتِلت أول ما توقحت ،

لما عشت لأن تقتل لى واداً .

وإنى لأتنبأ لك أن آلفاً مؤلفة .

ممن لا يتوجسون أقل مما أتوجس ، ٣٥

وكثيراً من زفرات الشيوخ وحسراتهم ،

وكثيراً من دموع الأرامل واليتامى المنهمرة من

عيونهم ،

ودموع الرجال التى يذرفونها لاحتضار أبنائهم ،

ودموع النساء لمقتل أزواجهن ولما يحن أجلهم ،

- ودموع اليتامى لمقتل آبائهم ،
 ٤٠ كل أولئك ، وحسراتهم ودموعهم ،
 لتلعن تلك الساعة التي ولدت فيها .
 لقد كان اليوم ينق مولاك ، منذراً بالشؤم ،
 ونعيق غراب الليل ينبي بما سيكون من أيام نكدة .
 وعوت الكلاب واقتلعت العاصفة الهوجاء الأشجار
 ٤٥ من جذورها .
 واختبأت الغربان السود بأعلى المداخل ،
 وردد العقعق الثرثار نغمات حزينة ناشزة .
 وأحست أمك بآلام المخاض أشد مما تحس بها
 سائر الأمهات .
 ولكنها مع ذلك ولدت أقل مما تأمل أن تلده غيرها
 من النساء .
 ولدت كتلة مشوهة غير مستوية ،
 ٥٠ لا تشبه في شيء ثمار تلك الشجرة الطيبة ،
 لقد كانت لك وقت مولدك أسنان في رأسك .
 تنبي بأنك جئت لتعض بها العالم :
 وإذا كان ما سمعته غير هذا صحيحاً ،
 ٥٥ فإنك جئت . . .

جلوستر : لن أسمع أكثر مما سمعت : فمت ، يا متنبئ أثناء
حديثك . (يطعنه)

فقد كان هذا من بين ما قدر لي أن أفعله .

الملك هنرى : أجل ، وقد قدر لك كثيراً غير هذا من القتل
والاغتيال ،

آه ! ليغفر لي الله ذنبي ، ويسامحك .

٦٠ جلوستر : ما هذا ! هل تمتص الأرض دم لانكستر صاحب
الأطماع ؟

لقد كنت أظن أنه سيعلو إلى السماء .

انظروا كيف يبكي سيفي حزناً على موت الملك
المسكين !

ألا ليت هذه الدموع القانية تذرف على الدوام ،
من كل من يريدون لبيتنا السقوط !

وإذا كانت لا تزال فيك أثارة من حياة ،
فلتهوين بهذه إلى الجحيم ، وقل لى أنا الذى بعثتك
إليها . (يطعنه طعنة ثانية)

أنا الذى لا أعرف الرحمة ، ولا الحب ، ولا الخوف .
إن ما قاله هنرى غنى هو الحق الذى لا ريب فيه ،

فلقد طالما سمعت أُمى تقول :

إنى ولدت وساقاى إلى الأمام .

ألا تظن أنى على حق حين أسرعت ،

فغضبت على من اغتصبوا حقنا ؟

ولقد عجبت القابلة من أمرى ، وصاحت للنساء :

« آه ، رحماك يا رب لقد ولد وله أسنان » .

وهكذا كنت ، ومعنى هذا فى وضوح :

أننى سوف أعوى ، وأعض ، وأفعل فعل الكلاب ،

وإذاً فما دامت السماء قد شكلت جسمى على هذا

النحو .

فاتشوه الجحيم عقلى كى يتفق مع جسمى .

إننى لا أخاف لى ، ولست شبيهاً بأخ لى ،

وكلمة « الحب » هذه التى يسميها العجائز قدسية ،

إنما تحل فى قلوب من يتشابهون ،

وليس لها مكان فى قلبى ، فأنا نسيج وحدى .

ألا فاحذر يا كلارنس ، فإنك تحجب عنى

الضوء ،

لكنى سأختار لك يوماً حالك الظلام ،

لأنى سأذيع عنك من الشائعات .

٧٠

٧٥

٨٠

٨٥

ما يخشى معها إدورد على حياته ،
 ثم أعمل على إزالة خوفه بأن أقتلك .
 لقد ذهب الملك هنرى وذهب ولده ،
 وسيأتى بعد ذلك دورك ثم دور الباقين ،
 ولن أرى نفسى شر الناس إلا ريثما أصبح أحسنهم .
 سألقى ببدنك يا هنرى فى غرفة أخرى ،
 وسيكون لى النصر فى يوم مصرعك .

الفصل الخامس

المنظر السابع

لندن - القصر

طبول . يدخل الملك إدورد ، والملكة إليزبت ، وكلاونس ، وجلوستر ، وهيستنجس ،
ومربية معها الأمير ، وأتباع .

الملك إدورد : إنا لنجلس الآن مرة أخرى على عرش إنجلترا
الملكى ،

الذى اشتريناه بدماء الأعداء .

فكم من عدو شجاع ، حصدهنا وهو فى أوج
عظمته

حصد الغلال إبان الحريف ،

منهم ثلاثة من أدواق سمرست ذاعت شهرتهم فى
الآفاق

بالبسالة والبطولة اللتين لا يرقى إليهما الشك .

واثنان من آل كلفورد هما الأب وولده ،

واثنان من آل نورثمبرلند ، لم يمتط رجلان باسلان
مثلهما

- صهوة الجياد ، إذا ما دعا الداعي إلى القتال ،
 ١٠ وكان معهم الدُّبَّانُ الأشجعان وريك ومنتجيو ،
 اللذان كبلا بأغلاهما الأسد الملكي ،
 واهتزت من هول زئيرهما أشجار الغاب .
 وبهذا طهرنا عرشنا من كل من نرتاب فيه ونخشاه ،
 وارتقينا إليه في آمان .
- ١٥ تعالى إلى يابس^(١) . وهاتى ولدى أقبله .
 أى ندى الصغير ، فى سبيلك ظلمت أنا وعماك ،
 ساهرين طوال ليلة الشتاء ، وعلينا الدروع السابقة ،
 وقضينا أيام الصيف القائظة سيراً على الأقدام ،
 كى تستعيد التاج وأنت آمن .
- ٢ وستجنى أنت ثمرة جهادنا .
- جلوستر : (لنفسه على انفراد) سأحرق ذلك الحصاد ، إذا
 ما وضع رأسك فى التراب ،
 لأن أعين العالم لا تتطلع إلىّ حتى الآن .
 فهذه الكتف قد خلقت غليظة لكى تحمل
 الأعباء ،

(١) يريد زوجته إلزبث .

وستحمل بعض العبء لا محالة . أو فلينقصم
ظهري

٢٥

فأعدّ أنت الطريق ، ولتقم أنت بالتنفيذ (١) .
الملك إدورد : يا كلارنس ، ويا جلوستر ، أحبا ملكتي الجميلة .
وقبلا يا أخوي كليكما ابن أخيكما الأمير الجميل .
كلارنس : إن واجب الولاء الذي أدين به لجلالتكم .
أؤكد به هذه القبلة التي أطبعها على شفتي هذا
الطفل الجميل .

٣٠ الملكة إلزبث : شكراً لك يا كلارنس النبيل ، شكراً لك أيها
الأخ الكريم .

جلوستر : ولتشهدوا هذه القبلة التي أضعتها على هذه الثمرة
دليلاً على حبي للدوحة التي أنت فرعها .

(لنفسه مفرداً) إن شتم الحق فهكذا قبل يهوذا (٢)
سيده وهو ينادي

« لك السعادة » ! ويضممر له في قلبه شر الأذى .

الملك إدورد : هأنذا قد استويت الآن على عرشي ، ونلت كل
ما تبتهج له نفسي

(١) في بعض الطبقات ساعد أنا الطريق إن أنت قمت بالتنفيذ (المترجم) .

(٢) يهوذا الأسخر بوطي الذي أسلم المسيح للبهود (المترجم) .

كلارنس

السلم فى بلادى ، والحب من أخوى .
وماذا تأمر يا مولاي أن نفعل بمرجريت ؟

لقد رهن والدها رينيه إلى ملك فرنسا
الصقليتين وبيت المقدس .

وأرسل ما نال من هذا الرهن إلى هنا ليفتديها به
٤. الملك إدورد : أبعدها عنا ، وانقلوها من هنا فى البحر إلى فرنسا .

وماذا بقى بعد الآن إلا أن نقضى الوقت
فى مهرجانات النصر الفخمة ، وحفلات التمثيل
المرحة .

التي هى خليقة بأن تبتهج بها الحاشية .
دقوا الطبول ، وانفخوا فى الأبواق ، وودعوا المتاعب
والأحزان

لأنى أرجو أن يبدأ من هذا اليوم سرورنا الدائم
على مدى الأيام .

(ينخرجون)

١٩٩٣ / ٤٢٠٠	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4076-1	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤٢٣
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تتمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والانساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..
ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب في العالم العربي.. تكتمل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة.

١٠٠٠
١٠٠٠
١٠٠٠